الثقافة الإسلامية

(١٢)

وقفة مع
الدكتور الشيخ البرّاك

(استاذ جامعة أم القرى بمكّة المكرمة)

الإصدار الثاني

مع إضافات وتصحيح وتنقيح

محمّد مهدي الآصفي

مختارات منتقاة من محاضرات ومقالات
ومؤلفات الشيخ محمد مهدي الآصفي
- ١٢ -

❊ ❊ ❊

اسم الكتاب: .... وقفة مع الدكتور الشيخ البرّاك
المؤلف: .... محمّد مهدي الآصفي
الطبعة الرابعة: .... ١٤٣٢ هـ - ٢٠١٠م
الكمية .... ٥٠٠٠ نسخة
المطبعة:...... مطبعة مجمع أهل البيت عليهم السلام النجف الأشرف



﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾

آل عمران: ١٠٣

«لقد علمتم أنّي أحقّ بها من غيري، فوالله لأُسلِمَنّ ما سَلِمت أمور المسلمين، ولم يكن فيها جور إلا عليّ خاصة»

نهج البلاغة، خطبة: ٧٤

وقفة مع الدكتور الشيخ البراك[1]

على أعتاب المؤتمر العالمي للوحدة الإسلامية بطهران؛ أجرت صحيفة (المدينة) مقابلة مع الأُستاذ الشيخ محمّد بن سليمان البراك أحد أساتذة جامعة (أُم القرى) في مكة المكرمة حول مشروع الوحدة الإسلامية،... فكان ممّا قال البراك: «إنّي أتحدّى الشيعة إذا أثبتوا أنهم قد أخذوا عن أحد من آل البيت[عليهم السلام] شيئاً من عقائدهم التي يختلفون فيها عن الآخرين».

دعاة التفرقة والاختلاف:

قرأت المقالة التي نشرتها جريدة (المدينة) كلّها، فوجدت فيها مجموعة من الاتهامات للشيعة، مثل اتهامهم بمخالفة الكتاب والسنّة... الخ. مما تثير طائفة كبيرة من المسلمين، وتؤدي إلى بلبلة وتراشق في الصف الإسلامي،

---

(١) الشيخ الدكتور محمد بن سليمان البراك ـ عضو هيئة التدريس بجامعة أم القرى ـ كلية الدعوة وأصول الدين قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، نشر المقال في (صحيفة المدينة) الجمعة ٢٩ صفر ١٤٢٩ ـ الموافق ٧ مارس ٢٠٠٨ ـ (العدد ١٦٣٨٩).

وذلك على أعتاب قيام مؤتمر الوحدة الإسلامية في طهران...
ووجدت أنّ هذه المقابلة تخدم المشروع الاستكباري (الأمريكي - الإسرائيلي) لإحداث فتنة طائفية، وشرخٍ في الصف الإسلامي، ويسهّل مهمة الاستكبار الأمريكي في بسط نفوذه في العالم الإسلامي، من حيث يشعر الكاتب أو لا يشعر ولا يقصد.

واللّغة التي يستخدمها كاتب المقال لغة استفزازية مثيرة للخلاف والفتنة بين المسلمين... الأمر الذي تسعى إليه أمريكا وإسرائيل والغرب عموماً، وتجد فيها بغيتها في إلهاء المسلمين بالتناحر والتراشق المتبادل فيما بينهم، لتستطيع هذه الأنظمة المناوئة للإسلام أن تمرّر من خلالها مشاريعها السياسية والعسكرية والاقتصاديّة في العالم الإسلامي...

وإلى غير هذه اللغة والأسلوب دعانا الله تعالى.

لقد اختبر الغرب سياسة (الفتن والتناحر المذهبي فيما بين المسلمين) منذ أيام الاحتلال الإنكليزي لمناطق واسعة من العالم الإسلامي إلى اليوم. ووجد فيها فرصة ذهبيّة لبسط نفوذه في العالم الإسلامي، وورث الأمريكان من الإنكليز هذه السياسة وتمادوا في ذلك، وأمعنوا في استخدامها.

دعاة الاعتصام بالله واللقاء:

وقد عرف علماء عاملون صالحون ومصلحون من السنّة والشيعة هذا المنهج السياسي الذي سلكه الإنكليز أمس، ويسلكه الأمريكان اليوم، وعملوا على مكافحة هذه السياسة وإحباطها، وعَمِلوا على إزالة جدار الفصل الطائفي، وإشاعة ثقافة التقريب والوحدة بين المسلمين، ودعوا إلى اللقاء والتفاهم في المسائل الفقهية والعقائدية، وتوحيد الموقف السياسي مثل: السيد حسين البروجردي من إيران، والشيخ محمود شلتوت من مصر، والسيّد عبد الحسين شرف الدين من لبنان، والإمام الخميني من إيران (القائد الراحل للثورة الإسلامية)، والشيخ حسن البنّا من مصر مؤسس جماعة الإخوان المسلمين ومرشد هذه الجماعة والشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء من العراق، والسيد عليّ الخامنئي (قائد الثورة الإسلامية) من إيران والسيد علي السيستاني من العراق، وآخرون من أعلام المسلمين المعاصرين، رحم الله الماضين منهم، وحفظ الباقين.

وكان من نتائج هذه الحركة المباركة قيام مشاريع ومؤسسات ثقافية وسياسية للدعوة إلى التقريب في القاهرة

وإيران ولبنان والعراق وأفغانستان وباكستان والهند وغيرها من بلاد العالم الإسلامي، وإقامة مؤتمرات ولقاءات ومشاريع سياسية وثقافية لهذه الغاية.

وقد أفلحت هذه الدعوة، وحققت أهدافها، وكلّلها قيام الجمهورية الإسلامية في إيران، بقيادة الإمام الخميني رحمه الله، وانتصار حزب الله في لبنان على إسرائيل، مرتين خلال فترة قصيرة.

وقد استقطب هذان الحدثان وغيرهما مشاعر المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، والتقى المسلمون على اختلاف مذاهبهم في الاحتفاء بهذين الحدثين، وتعاطفوا معهما، كما تعاطف المسلمون جميعاً مع انتفاضة الحجارة والمقاومة الإسلامية المسلحة في فلسطين، ووجدوا فيهما النهج الإسلامي الصحيح لإزالة الاحتلال من فلسطين.

وكانت هذه اللقاءات والمشاريع تتكرّر، وتتلاقح في العالم الإسلامي، وتوحّد صفوف المسلمين ومواقفهم ومشاعرهم.

عودة المشاريع الاستكبارية في إثارة الفتنة بين المسلمين:

فأحسَّ بذلك الاستكبار الأمريكي وإسرائيل والأنظمة المناوئة للإسلام، من جانب، والأنظمة الحاكمة المرتبطة بعجلة الاستكبار في العالم الإسلامي، من جانب آخر، ووجدوا فيها خطراً كبيراً على مصالحهم، وعلموا أن هذه الأُمّة الكبيرة إذا اتّحدت ووحّدت مواقفها السياسية، فسوف لا يبقى لهم موضع قدم في العالم الإسلامي.

فبدأت هذه الأنظمة بالتخطيط لإحباط المشروع التقريبي الوحدوي الإسلامي، واحتضان مثيري الفتنة المذهبية بين المسلمين، وظهرت كتب، وصحف، وفضائيات، وخطابات، ومؤتمرات، ولقاءات، تروّج للفتنة والتراشق بين المذاهب الإسلامية، وتدعوا إليها، وتعمل على إشاعتها في كلّ مكان، وكانت هذه الأنظمة في الغرب وفي العالم الإسلامي تموّل هذه الدعوات والمشاريع الطائفية، وتحتضنها، وتوظف لها محطّاتها الإعلامية.

وفي كلّ بناء وهدم: البناء شاق عسير، والهدم سهل يسير.

وقد وجدت هذه الأنظمة في أعمال التخريب التي يقوم بها دعاة الفتنة والتقاطع والخلاف بين المسلمين الأداة

المفضّلة لها لإحباط المشاريع الوحدوية والتقريبية التي نهض بها دعاة الإصلاح في العالم الإسلامي من السنّة والشيعة، ووجدوا في ذلك أُسلوباً سهلاً مريحاً لمصادرة جهود العاملين والمصلحين في العالم الإسلامي في التقريب والتوحيد.

* * *

وآخر ما قرأناه في هذا السياق، مقابلة أجرتها صحيفة (المدينة) مع الأستاذ الشيخ محمد بن سليمان البرّاك عضو هيئة التدريس بجامعة أُم القرى وكلية الدعوة وأُصول الدين، قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، يوجه فيها طائفة من الاتهامات لشيعة أهل البيت عليهم السلام جزافاً، ومن دون استناد إلى دليل علمي، وفي طرح غير علمي لا يناسب المواقع العلمية التي يحتلها صاحب المقابلة.

وليس لنا أن نتهم كاتب المقال بنيّة الإثارة والفتنة والتخريب، ولكن المقال يقع في هذا السياق بالتأكيد، حتى لو لم يقصد صاحبه ذلك.

وفيما يلي نتوقف عند نقاط الاتهام التي يذكرها الشيخ البراك في مقابلته، ونناقشها بإيجاز واختصار، إن شاء الله.

* * *

ضوابط التقريب

يقول البرّاك: «الكل ينادي بالتقريب بين المذاهب، خاصة مع الشيعة ونبذ الخلافات، فهل يترك الأمر على إطلاقه أم لابدّ من ضوابط ينبغي أن تراعى في هذا التقريب؟».

أقول: هذا كلام صحيح، لا يرتاب فيه أحد. ودعاة التقريب من الشيعة والسنة لا يدْعون إلى تقريب من دون ضوابط ولا أُصول.

ولكن ما هي هذه الأُسس والضوابط؟

يقول البرّاك: «وقد تقدّم أن أساس الوحدة والتقارب هو القرآن والسنّة ثم فَهْم الصحابة لهما، وكل هذه الأُسس يخالف فيها الشيعة بقية المسلمين».

ومعنى ذلك: أن أُسس التقريب ثلاثة، الكتاب والسنّة، وفَهْم الصحابة للكتاب والسُنة...

والشيعة يخالفون أهل السنّة في الثلاثة جميعاً...

أقول: أمّا افتراؤه على شيعة أهل البيت عليهم السلام بأنهم يخالفون أهل السنّة في حجية الكتاب والسنّة فحسابه مع الله، يحاسبه على هذا الافتراء العريض لأُمة من المسلمين، يشهدون أن لا

إلـه إلا الله وأن محمـداً رسـول الله ﷺ، ويعملـون بالكتـاب والسنة، ويتلـون القـرآن ويـدعون إليـه، ويـأمرون بـالمعروف وينهون عن المنكر.

وأمـا الأسـاس الثالـث للتقريـب والوحـدة وهـو: فهـم الصحابة للكتاب والسُنّة، فلابدّ أن نتوقف عنده بعض الوقت، ونسأله عن دليل حجّية فَهْـم الصحابة للكتـاب والسُـنّة، كمـا يقول البـرّاك، ولا أقـول روايـتهم، فـإنّ روايـتهم عـن رسـول الله ﷺ عندنا مقبولة، ونأخذ بها إذا كان الصحابي عَدْلاً. ولـم تثبت عندنا عدالة الصحابة جميعاً. ونحـن نشـترط فـي صـحة الرواية عدالة الراوي.

ونحن نعتقد ونقول بحجية خبر الواحد، فـلا نتوقـف عنـد قبول رواية الصحابة، إذا ثبتت عـدالتهم رحمهـم الله ورضـى عنهم.

وأما الذي نتوقف عنده ونتساءل عنه، فهو حجيـة رأيهـم، فـي فهـم الكتـاب والسـنة، وهـو الأسـاس الثالـث للوحـدة والتقريب بين المسلمين في كلام البراك.

فأقول: إن رأي الصحابة في الكتاب والسنّة لا يزيـد علـى أن يكون اجتهاداً منهم في فهم الكتاب والسنّة... ولا نشكّ أنّ

في الصحابة مجتهدين.

ولكن لماذا نحصر الاجتهاد في فهم الكتاب والسنّة في الصحابة فقط؟

ولماذا نغلق أبواب الاجتهاد في فهم الكتاب والسنّة على أنفسنا؟

وهل هناك من دليل من الكتاب والسنّة في حظر الاجتهاد على الآخرين من دون الصحابة؟

ثم ماذا نفعل عندما يختلف صحابيان في فهمهم للكتاب والسنّة؟ فبأي رأي من الرأيين نعمل؟

لقد اختلف الصحابيان، أبو ذر وعثمان بن عفان في منهج التصرف بأموال بيت المال، فكان يرى الخليفة أن من حقه أن يبرَّ بأموال بيت المال أهله وعشيرته من بني أمية أمثال مروان بن الحكم وآل الحكم وأبي سفيان والوليد وغيرهم، وكان أبو ذر رحمه الله ينكر عليه ذلك... وقد نفاه معاوية من الشام ونفاه عثمان من المدينة، ومات في المنفى رحمه الله فأيَّ رأي نأخذ؟

وقد اختلف الصحابيان عبد الله بن مسعود والخليفة عثمان بن عفان، فألقى ابن مسعود مفاتيح بيت المال، عندما طلب

منه الوليد بن عقبة أن يطلق يديه في أموال بيت المال فامتنع عليه ابن مسعود، وغضب عليه الخليفة فاستدعاه إلى المدينة، وأمر بضربه في المسجد ضرباً مُبرّحاً وأُخرج من المسجد لأنه امتنع عن أن يدفع إلى الوليد بن عقبة ما يشاء من بيت المال.

فبرأي مَن نأخذ برأي ابن مسعود أم برأي الخليفة، وهما صحابيان، لا نشك في ذلك؟

وقد اختلف عمار بن ياسر والخليفة في بعض تصرفاته ببيت المال، فأمر الخليفة بضربه حتى أغمي عليه، فبرأي مَن نأخذ؟

بل لا نشك أن فهم الشيخين أبي بكر وعمر كان يختلف عن فهم الخليفة عثمان بن عفان للكتاب والسنّة بخصوص بيت المال وحق ولي الأمر في التصرف فيه.

فبأي رأي نأخذ، رأي عثمان أم رأي الشيخين قبله؟

وإذا تقاتل الصحابة، فكان علي عليه السلام وجمع كبير من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في جانب وطلحة والزبير وأُم المؤمنين عائشة وجمع من الصحابة في جانب آخر، فبأي هدى نأخذ؟

وتقاتل عليّ عليه السلام أمير المؤمنين، ومعه جمع كبير من

أصحاب رسول الله ﷺ... و معاوية وعمرو بن العاص، وهما كانا من أصحاب رسول الله ﷺ، ومعهم عبد الله بن عمرو بن العاص تقاتلوا طويلاً، وذهب جمع غفير من المسلمين من أصحاب القبلة شهداء وقتلى في هذا القتال.

فبرأي أيّهم نأخذ؟

وعرض عبد الرحمن بن عوف الخلافة على علي أمير المؤمنين عليه السلام يوم الشورى، فقال: «أبايعك على كتاب الله وسنّة رسوله وسيرة الشيخين أبي بكر وعمر».

فقال علي عليه السلام: «بل على كتاب الله وسنة رسوله واجتهاد رأيي».

فعدل عبد الرحمن بن عوف عنه إلى عثمان فقبل عثمان بالشرط[(١)].

إذن لعليّ عليه السلام رأي في الكتاب والسنّة يختلف عن رأي الشيخين، ويرفض الإمام عليه السلام الخلافة بعرضها العريض، ولا يستجيب لهذا الشرط الذي شرطه عليه عبد الرحمن بن

---

(١) راجع شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ١: ١٨٨ قصة الشورى.

عوف.

وقد أمر معاوية بقتل عمرو بن الحمق الخزاعي - الذي أبلته العبادة - صبراً، وكان رأسه أول رأس حُمل في الإسلام، وأمر بقتل حجر بن عدي الكِنْدي صبراً، وكانا من فضلاء الصحابة رحمهما الله، قتلهما معاوية وقتل أصحابهما لأنهما لم يسبّا عليّاً عليه السلام.

فبهدى من نقتدي، بهدى القاتل أم بهدى المقتول!!؟

إنّ هذه الأسئلة بحاجة إلى الإجابة، ولا نطالب البرّاك بالجواب، ولا نريد أن نخوض معه في هذا الأمر.

ولكنّا نقول له رأينا في ذلك، وله أن يقبل، وله أن لا يقبل.

وهو أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عيّن من بعده أهل بيته عليهم السلام مرجعاً للأمة لفهم الكتاب والسنّة، ولشرح المجمل منهما، وتوضيح ما كان يحتاج منهما إلى توضيح وشرح وتفسير.

فقد روى أصحاب الصحاح والمسانيد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

أنه قال، واللّفظ للترمذي في صحيحه[1]: «إنّي تركت فيكم، ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما».

أخرجه (الترمذي) في الصحيح و(النسائي) و(الإمام أحمد في مسنده) و(الطبراني) و(الحاكم) و(مسلم في الصحيح) و(ابن سعد) ورواه (السيوطي) والمتقي في (الكنز) وابن حجر في (الصواعق) وغيرهم من الحفّاظ والمحدثين وحملة الحديث النبوي، ولا طاقة لنا بإحصائهم في هذه العجالة... وجملة من طرقه صحيحة، وناهيك أن(مسلم) و(الترمذي) ممّن أخرج هذا الحديث عن رسول الله ﷺ، في صحيحيهما.

كما صحَّ عن أهل البيت عليهم السلام: أن ما يذكرونه في تفسير الكتاب والسنّة وتوضيحها وشرح ما كان مجملاً منهما، وما يذكرونه من حكم إنما هو من حديث رسول الله ﷺ، وليس

---

(١) سنن الترمذي٥: ٣٢٩ ح٣٨٧٦ ط.٢ دار الفكر، و٢: ٣٠٨ ط. بولاق بمصر، و١٣: ٢٠٠ط. الصاوي.

شأنهم في ذلك شأن المجتهدين الذين يجتهدون في الكتاب والسنة.

والأحاديث عنهمعليهم السلام متواترة في هذا المعنى، وطرقها صحيحة و لا مجال للتشكيك في هذا ولا ذاك.

نحن لا ندعو البرّاك إلى قبول هذه الحقيقة التي صح فيها الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولا نجعلها أساساً للوحدة، ولا نرفض الوحدة مع مَن يخالفنا في ذلك.

ولكنني أتساءل هل يجوز أن نجعل الرجوع إلى رأي الصحابة واجتهادهم أساساً للتقريب، ونرفض التقريب مع الذين يأخذون بحديث أهل البيتعليهم السلام في فهم الكتاب والسنّة؟ ولماذا؟

* * *

إتباع الكتاب والسنة

يقول (البرّاك) ويكرّر أكثر من مرّة،: إن الشيعة يخالفون الكتاب وسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويقول البراك: «إن الرافضة من أبعد الناس عن الحقّ وأكثرهم مخالفة للكتاب والسنّة».

ولا أُريد أن أسهب في هذا الموضوع في هذا المقال، فلم

اكتب المقال ليكون بحثاً علميّاً، وإنّما كتبته للتنبيه على مواضع الخطر في الثقافة والإعلام والصحافة المعاصرة في العالم الإسلامي.

وفقهاء الشيعة - من دون استثناء - منذ أصحاب أمير المؤمنين عليّ عليه السلام إلى اليوم يصرحون بأن مصادر الفقه هي الكتاب وسُنّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (وحديث أهل البيت من حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفي امتداده) والإجماع[1].

وأما العقل فقد اختلفت فيه كلمات فقهاء الشيعة بين المدرستين الأُصولية والأَخبارية.

ولا خلاف بين فقهاء الشيعة في ما عدا ذلك.

وليس معنى حجية الكتاب إلغاء القواعد التي يذكرها المفسّرون والفقهاء وعلماء الأُصول في تفسير كتاب الله، و إلغاء المنهج العلمي لفهم آيات القرآن الكريم.

وليس معنى حجية السنّة تصديق كل رواية من أي راو في أي كتاب، وإنّما يؤصّل العلماء لقبول الرواية أُصولاً

---

(١) تختلف المدرسة الأَخبارية عن المدرسة الأُصولية عند الشيعة في حجيّة الإجماع اختلافاً يسيراً لا تمسّ جوهر المسألة التي نشير إليها.

معروفة في إسناد الرواية إلى رسول الله ﷺ وأُصولاً معروفة في دلالة الرواية.

فإذا صحت الرواية من حيث الإسناد، وتمّت من حيث الدلالة، فلا يتردد فقيه شيعي أو سنّي في التمسك بالرواية.

وليس معنى هذا الكلام أن يتفق فقهاء الشيعة وعلماؤهم مع غيرهم من الفقهاء والعلماء في قواعد الجرح والتعديل، في إسناد الرواية، أو القواعد الأُصولية المعروفة في دلالة الرواية... فإنّ بين علماء الجرح والتعديل وعلماء الأُصول من أهل السنّة أنفسهم، من الاختلافات في ذلك أكثر ممّا هو قائم بين فقهاء الشيعة والسنّة، أو مثله على الأقل.

وإذا تمّت هذه الحقائق، وهي تامّة، فأنا أتحدّى (البرّاك) أن يذكر لي فقيهاً من فقهاء الشيعة أو عالماً من علمائهم، يعترفون به، قد خالف آية من القرآن الكريم ورفض أن يأخذ بها، أو خالف حديثاً واحداً من أحاديث رسول الله ﷺ صح صدوره عنه ﷺ وتمت دلالته.

* * *

الموقف من أُمّ المؤمنين عائشة

يقول البرّاك: «ويكفّرون عامّة الصحابة، وفي مقدمتهم أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، وعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، ويرمونها بما برأها الله منها».

أقول: لا أعرف كلاماً أسوأ من هذا الكلام في الاستهانة بحرمات المسلمين، واستسهال الافتراء عليهم، ورميهم بما يتبراؤن منه.

إنّ اتهام الشيعة بأنهم يرمون أُم المؤمنين عائشة، لا يقل إثماً وإفكاً وشناعة عن الذين نسبوا الإفك إلى أُم المؤمنين عائشة من المنافقين يومذاك.

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

وها هو ذا بين يدي الباحثين والعلماء اليوم ما يقرب من مائة تفسير لعلماء الشيعة مطبوع رائج في الأسواق، ويسهل اليوم الاطلاع على الكثير منها بواسطة أجهزة الحاسوب بأيسر جهد... فهل تجدون في تفسير واحد من التفاسير الكثيرة التي

كتبها علماء الشيعة المعتمدون في تفسير الآيات ١١ – ١٩ من سورة النور، شيئاً مما يقوله البراك في نسبة هذا الإفك إلى شيعة أهل البيت عليهم السلام؟

نعم، نحن لا نتساهل في أمر خروجها على أمير المؤمنين عليه السلام في حرب الجمل، ولا نصححه، ولا نقول: إنها اجتهدت فأخطأت، كما يقول بعضهم.

❊ ❊ ❊

الموقف من أصحاب رسول اللّه (ص)

قرأنا للبرّاك في النص المتقدم أن الشيعة: «يكفّرون عامة الصحابة وفي مقدمتهم أبي بكر وعمر وعثمان وعائشة رضي الله عنهم».

أقول: إنّ الشيعة بُرَءاء من هذا الاتهام والافتراء، وليس من رأينا، ولا رأي أحد من المتقدمين من علماء الشيعة المتقدمين منهم والمتأخرين منهم تكفير أحد من الصحابة، فضلاً عن عامّتهم، كما يقول البرّاك. ولا ننفي هذه النسبة عن بعض الغلاة من فرق الشيعة، غير أننا لا نقول بقولهم، ولا نقرّهم على ذلك، ولسنا منهم في شيء.

ولكننا لا نقول بعدالة الصحابة جميعاً، كما يقول البعض، وفي أصحاب رسول الله ﷺ من لا نتردّد في نفي العدالة عنه، مثل معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص، ولا نأخذ برواياتهم ولا درايتهم.

وأما حديث الارتداد بعد رسول الله ﷺ، فقد ورد في صحاح أهل السنّة ومسانيدهم أكثر مما ورد في كتبنا ورواياتنا، ونحن نشير إلى بعض مواضع هذه الروايات في الصحاح الثلاثة المعتمدة عند أهل السنة (صحيح البخاري وصحيح مسلم وصحيح الترمذي) ومستدرك الحاكم على الصحيحين ولك أن تتأكد من صحة هذه العناوين بأيسر جهد.

١ - صحيح البخاري، كتاب الفتن باب ١ - ح٧٠٤٩ التسلسل العام، ط.دار الفكر.

٢ - صحيح البخاري، نفس الباب ح ٧٠٥٠ و٧٠٥١ التسلسل العام ط.دار الفكر.

٣ - صحيح البخاري، التسلسل العام ٣٣٤٩، ط. دار الفكر.

٤ - صحيح البخاري ح٣٤٤٧ من التسلسل العام.

٥ - صحيح البخاري رقم ٦٥٧٦ من التسلسل العام.

٦ - صحيح البخاري باب كيف الحشر، رقم ٦٥٢٦ التسلسل العام.

٧ - صحيح البخاري ح رقم ٦٥٨٢ و٦٥٨٣ من التسلسل العام.

٨ - صحيح مسلم ٨: ١٥٧، كتاب الجنة وصفة نعيمها، ط.دار الفكر.

٩ - المستدرك على الصحيحين٢:٤٤٧ ط. دار المعرفة، بيروت.

١٠ - صحيح الترمذي ٥: ٣٢٢ح رقم ٣١٦٧ (التسلسل العام) ط.مصطفى البابي الحلبي.

ونصوص أُخرى كثيرة بهذا المعنى وردت في صحاح أهل السنّة كما ورد في كتب الشيعة، فما فسّرتم به تلك النصوص ففسّروا به النصوص التي وردت في كتب الشيعة... أما نحن فنتبرّأ من القول بتكفير أصحاب رسول الله ﷺ وزوجاته أُمّهات المؤمنين، كما يقول البّراك...

وفيما يلي أذكر شطراً من دعاء الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام لأصحاب رسول الله ﷺ وهو الإمام الرابع من أئمة أهل البيت عليهم السلام، الذين يتّبعهم شيعة أهل البيت عليهم السلام

ويوالونهم.

يقول عليه السلام، كما في الصحيفة السجّادية (الدعاء الرابع):

«اللهم وأصحاب محمّد[صلى الله عليه وآله وسلم] خاصة، الذين أحسنوا الصحابة، والذين أبلوا البلاء الحسن في نصره، وكانفوه، وأسرعوا إلى وفادته، وسابقوا إلى دعوته، واستجابوا له. حيث أسمعهم حجّة رسالاته، وفارقوا الأزواج والأولاد في إظهار كلمته، وقاتلوا الآباء والأبناء في تثبيت نبوّته، وانتصروا به، ومن كانوا منطوين على محبّته، يرجون تجارةً لن تبور في مودّته، والذين هجرتهم العشائر، إذ تعلّقوا بعروته... فلا تنسَ لهم اللهم ما تركوا لك وفيك، وارضِهم من رضوانك... واشكرهم على هجرهم فيك ديار قومهم، وخروجهم من سعة المعاش إلى ضيقه.

اللهمّ وأوصل إلى التابعين لهم بإحسان الذين يقولون: ﴿**رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلاِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ**﴾ خير جزائك...

اللهمّ وصلّ على التابعين من يومنا هذا إلى يوم الدين، وعلى أزواجهم وذرياتهم، وعلى من أطاعك منهم صلاة

تعصمهم بها من معصيتك، وتفسح لهم في رياض جنتك، وتمنعهم بها من كيد الشيطان، وتعينهم بما استعانوكَ عليه من بر...». إلى آخر الدعاء.

وهذا الذي يقوله الإمام زين العابدين عليه السلام هو رأينا ودعاؤنا لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذين أحسنوا الصحبة والإتباع، وللتابعين لهم بإحسان، ولا نختلف في رأينا ومواقفنا عن رأي أهل البيت عليهم السلام وموقفهم.

السبّ

وأما مسألة (السبّ) فليس من ثقافتنا، وقد سمع أمير المؤمنين عليه السلام قوماً من أصحابه يسبّون أهل الشام، قُبيل حربهم بصفّين، فقال عليه السلام:

«إنّي أكره لكم أن تكونوا سبّابين، ولكنكم لو وصفتم أعمالهم، وذكرتم حالهم، كان أصوب في القول، وأبلغ في العذر، وقلتم مكان سبّكم إياهم: اللهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم، واهدهم من ضلالتهم، حتى يعرف

الحق من جهله، ويرعوي عن الغي والعدوان من لهج به»[١].

ولكنّ معاوية بن أبي سفيان وضع في الإسلام أساس هذه (البدعة) وأمر الناس بسبّ عليّ عليه السلام في العراق والشام، كما يقول أبو عثمان الجاحظ، وخطب الخطباء بذلك على منابر الإسلام، وصار ذلك سنّة في أيام بني أمية إلى أن قام عمر بن عبد العزيز، فأزال ذلك.

وقال الجاحظ: إن معاوية كان يقول في آخر خطبة الجمعة: اللهمّ إن أبا تراب ألحد في دينك، وصدّ عن سبيلك فالعنه لعناً وبيلاً، وعذّبه عذاباً أليماً، وكتب بذلك إلى الآفاق، فكانت هذه الكلمات يشار بها على المنابر إلى خلافة عمر بن عبد العزيز[٢].

وروى الطبري في حوادث سنة ٥١ هـ وابن الأثير في الكامل: أن معاوية استعمل المغيرة بن شعبة على الكوفة سنة ٤١ هـ فلما أمّره عليها دعاه، وقال: «قد أردت ايصاءك بأشياء

---

(١) شرح النهج لأبن أبي الحديد ١١: ٢١ شرح الخطبة ١٩٩، ط. دار إحياء التراث.

(٢) شرح النهج لأبن أبي الحديد ٤: ٥٦ شرح الخطبة ٥٧.

كثيرة، أنا تاركها اعتماداً على بصرك، ولست تاركاً ايصاءك بخصلة: لا تترك شتم عليّ وذمه، والترحّم على عثمان والاستغفار له، والعيب لأصحاب علي والإقصاء لهم، والإطراء لشيعة عثمان، والإدناء لهم»[1].

وأمر معاوية سعد بن أبي وقاص بسبّ علي عليه السلام، فقال، كما يرويه (مسلم) و(الترمذي) في الصحيح ويرويه (النسائي) في الخصائص العلوية في فضائل علي عليه السلام... فقال: «ما منعك أن تسبّ أبا تراب؟ فقال: أما ما ذكرت ثلاثاً قالهن له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلن أسبّه؛ لإنْ تكون لي واحدة منهن أحبّ لي من حمر النعم...»[2].

فكان لهذه السياسية الأُموية المشؤومة آثار سيئة في تاريخ الإسلام، ولا يزال هذا الجرح الذي أحدثه معاوية في

---

(١) تاريخ الطبري٦: ١٠٨، الكامل لأبن الأثير٣: ٤٧٢ ط. دار صادر، أنساب الأشراف٥: ٢٥٢ نحوه.

(٢) صحيح مسلم٧: ١٢٠باب فضائل علي عليه السلام ط. دار الفكر، سنن الترمذي٥: ٣٠١باب٨٧ح٣٨٠٨ ط.دار الفكر، سنن النسائي٥: ١٠٧ح٨٣٩٩ و١٢٢ح٨٤٣٩ ط.دار الكتب العلمية ببيروت.

خلافته ينزف دماً إلى يومنا هذا.

نعم، يبقى أن نقول أننا نتبرأ من أعداء آل محمدعليهم السلام، وهو أمر واضح في ثقافتنا، ولا نخفيه. فهل يعيب علينا أحد البراءة من النواصب الذين ينصبون العداء لأهل البيتعليهم السلام، ويعلنون ذلك.

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم جلّل عليّاً وفاطمة والحسن والحسينعليهم السلام بالكساء: «أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم وعدوٌ لمن عاداكم».ذكره ابن حجر في (الصواعق).

وأخرج ابن حنبل في المسند من حديث أبي هريرة: أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نظر إلى عليّ وفاطمة والحسن والحسين، فقال: «أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم».

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «حرب عليٌ حربي وسلمه سلمي».

ولا حاجة إلى استخراج مصادر هذه الأحاديث فهي معروفة ومشهورة، ولا يسع أحداً يحترم علمه أن ينكرها أو يشكك فيها[1].

---

(١) ولمن أراد المراجعة: المستدرك على الصحيحين٣: ١٤٩ وفي التلخيص أيضا، مسند أحمد بن حنبل٢: ٤٤٢، مجمع الزوائد٩: ١٦٩،

ونحن نتبرأ من الذين ينصبون العداء لأهل البيت عليهم السلام، الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرا وأمرنا الله بمودّتهم في محكم كتابه.

***

تنزيه القرآن من التحريف

يقول البرّاك بأن الشيعة يقولون بتحريف القرآن. يقول:

مصنف ابن أبي شيبة٧: ٥١٢، ذخائر العقبى:٢٥، سنن ابن ماجة١: ٥٢، سنن الترمذي٥: ٣٦٠، المعجم الأوسط٣: ١٧٩ و٥: ١٨٢، المعجم الكبير ٣: ٤٠ و٥: ١٨٤، صحيح ابن حبان١٥: ٤٣٤، المعجم الصغير٢: ٣، تاريخ بغداد٧: ١٤٤،أحكام القرآن الجصاص١: ٥٧١ و٢: ٥٠٨، شواهد التنزيل٢: ٤٤، تاريخ مدينة دمشق١٤: ١٤٤ و١٥٨، تهذيب الكمال٢: ٣٥٩ و١٣: ١١٣، سير أعلام النبلاء٢: ١٢٥ و٣: ٢٥٨، البداية والنهاية٨: ٤٠، ينابيع المودة١: ١١٣ و٣٢٣ و٢: ٣٤ و٥٣ و١٢٠ و٢٢٨ و٣: ١٤٠ و... ومصادر أخرى للعامة.

روضة الواعظين:١٥٨، مناقب أمير المؤمنين عليه السلام٢: ١٥٦ و...، عيون أخبار الرضا عليه السلام٢: ٥٩ باب ٣١ ح٢٣٣، شرح الأخبار٢: ٥١٤ و٦٠٨ و٣: ١٣ و٥١٨، العمدة:٥١ و٣٢١ ، الطرائف:١٣١، تفسير فرات الكوفي: ٣٣٨ و٣٣٩ ، المناقب:١٥ ، الاعتقادات:١٠٥، الأمالي للطوسي:٣٣٦ المجلس١٢ ح٢٠، كشف الغمة١: ٩٥ ومصادر أخرى للخاصة...

«علماء الشيعة يقررون أن القرآن محرّف».

أقول: قد كثر الكلام في هذه المقولة وفي هذه النسبة الظالمة للشيعة، وقد أعلن الشيعة رأيهم الصريح في تنزيه القرآن من التحريف.

وصرّح بذلك أعلامهم من المتقدّمين والمتأخرين، صرح بذلك:

١ - الشيخ الصدوق من متقدّمي محدّثي الإمامية توفي عام (٣٨١ هـ) في (الاعتقادات):٥٩.

٢ - الشيخ المفيد من متقدّمي الكلاميين والأُصوليين من علماء الإمامية توفي عام (٤١٣ هـ) راجع (المسائل السروية) من مجموعة مصنّفات الشيخ المفيد٧: ٨٢ - ٨٤.

٣ - السيّد المرتضى من متقدّمي فقهاء الإمامية راجع مقدّمة مجمع البيان في تفسير القرآن.

٤ - الشيخ الطوسي من كبار فقهاء الإمامية المتقدّمين ومن كبار المفسرين والمحدّثين منهم، توفي عام (٤٦٠ هـ)، راجع تفسير التبيان١: ٢٦٩-٢٧٠.

٥ - العلاّمة الحلّي من فقهاء الإمامية والكلاميين منهم راجع (أجوبة المسائل المهنائية: ١٢١).

٦ – المحقّق الكركي من كبار فقهاء الإمامية المتأخرين (٩٤٠ هـ) راجع (التحقيق في نفي التحريف: ١٦، والبيان: ٢٣٤).

٧ – الحر العاملي من المحدّثين الكبار المتأخرين توفي سنة (١١٠٤ هـ) راجع كتاب (الفصول المهمة): ١٦٨ له.

٨ – الشهيد القاضي نور الله التستري رحمه الله من كبار الكلاميين المتأخرين للإماميّة استشهد عام (١٠١٩) انظر كلامه في (آلاء الرحمان في تفسير القرآن: ٢٥ – ٢٦).

أما المعاصرون فقد كتبوا فصولاً مطوّلة في تنزيه القرآن من التحريف، وأفردوا كتباً ورسائل خاصة، أذكر من ذلك الإمام الخوئي في كتابه «البيان»، أفرد بحثاً بعنوان نفي التحريف عن القرآن، والمحقق البلاغي والعلاّمة الطباطبائي في تفسيريهما، والإمام الخميني في أبحاثه الأُصولية، والعلاّمة العسكري في أبحاثه القرآنية، أفرد لهذه المسألة دراسة موسّعة، والعلاّمة محمد هادي معرفة خصّ هذا البحث بدراسة موسّعة، والعلاّمة الشيخ جوادي الآملي أفرد له كتاباً بعنوان «فصل الخطاب في نفي التحريف عن كتاب ربّ الأرباب» وغيرهم من علماء الشيعة، عدد كبير لا طاقة لي

بإحصائهم في هذه العجالة.

فإذا وجدنا هنا وهناك من علماء الشيعة من يقول بتحريف القرآن، فهو رأي شاذ ينسب إلى صاحبه...، ولا ينسب إلى الطائفة برمّتها، كما يفعل البرّاك، ولعلّك إذا راجعت الإتقان للسيوطي (النوع السابع والأربعون) في الناسخ والمنسوخ، والمدوّنات الحديثية من قبيل صحيحي البخاري ومسلم ومسند احمد بن حنبل وسنن النسائي وغير ذلك من المدوّنات الحديثية عند أهل السنّة تجد بأنهم يقولون بوجود آيات عديدة وكثيرة من القرآن لم يرد لها ذكر في المصحف الموجود مع بقاء حكمها، وأسموها بـ «نسخ التلاوة».

وفي رأينا أن هذه الروايات كلها من الشواذ والروايات الضعيفة، سواءً وردت في مدوّناتنا الحديثية أم مدوّنات أهل السنّة، ويبقى كتاب الله بمنأى من أي زيادة أو نقصان.

ولا أحبّ أن اُسهب في هذا البحث أكثر من هذا، فلا يوجد اليوم في مشارق الأرض ومغاربها، وفي القارات الخمسة مصحف غير هذا الذي يتداوله المسلمون اليوم وأمس، عند الشيعة والسنّة، والذي يقول غير ذلك يتحمّل إثم

هذا الافتراء بين يدي الله تعالى والمسلمين.

ولشيعة أهل البيتعليهم السلام ما يقرب من مائة كتاب في تفسير القرآن فهل وجدتم لعلماء شيعة أهل البيتعليهم السلام تفسيراً لغير هذا المصحف الذي يتلوه المسلمون، شيعة وسنّة، ليلاً ونهاراً، ولو كان للشيعة كتاب آخر لبان في هذه التفاسير.

* * *

عصمة أهل البيت (ع)

يقول البرّاك: «يعتقدون في الأئمة أنّهم يعلمون الغيب ويدبّرون الكون، وأنّهم معصومون عن مجرد الخطأ».

أقول: أمّا علم الغيب... فإنّ الله تعالى وحده هو عالم الغيب والشهادة، والأئمةعليهم السلام لا يعرفون إلا ما يعلّمهم الله من الغيب والشهود... ومن دون أن يعلّمهم الله لا يعلمون شيئاً.

وهل يستكثر أحد أن يعلّم الله تعالى بعض أوليائه الصالحين الصدّيقين من أنبيائه وأوصيائهمعليهم السلام. وعباده الصالحين، ممّا لا يعرفه الآخرون، ودونك قصة العبد الصالح الذي التقاه موسىعليه السلام كما ورد في سورة الكهف.

وأمّا علمهم بالشريعة وحدودها وأحكامها فهو رواية عن

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولم يكونوا من أهل الرأي والاجتهاد، وإنّما يحدّثون الناس بما انتقل إليهم من علم رسول الله كابراً بعد كابر.

آية التطهير:

وأما عصمة أهل البيت عليهم السلام فقد نزلت فيهم آية محكمة من كتاب الله صريحة في عصمتهم وهي الآية **٣٣** من سورة الأحزاب: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾.

وأهل البيت الذين أنزل الله تعالى فيهم يومئذ آية التطهير هم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.

وعلى نحو الإجمال أُشير في هذه النقطة من الحديث إلى أمرين:

١ - إنّ آية الأحزاب واضحة الدلالة على (العصمة).

٢ - وانّ المقصودين بالتطهير في هذه الآية هم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، الذي جلّلهم رسول الله بالكساء عند نزول الآية الكريمة، وسوف يكون حديثي في هذين الأمرين على نحو الإشارة والإجمال... فلم

يكن قصدي في هذا المقال أن أدخل بحثاً في النقاط التي أثارها الشيخ البرّاك في مقابلته لصحيفة المدينة وإليك هذين الأمرين:

١ ـ دلالة آية الأحزاب على عصمة أهل البيت (ع).

ودلالة الآية الكريمة تتضح من خلال كلمتين وردتا في آية التطهير:

١ – الإرادة الإلهية لتطهير أهل البيت عليهم السلام: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾. أولاً.

وحصر هذه الإرادة في أهل البيت دون غيرهم ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ**﴾. ثانياً.

ومعنى الآية الكريمة هنا – من خلال هاتين الكلمتين – أنّ الله تعالى يريد التطهير وإذهاب الرجس عن أهل البيت، حصراً، دون غيرهم.

وهذا هو معنى الحصر، و كلمة «إنّما» من أقوى أدوات الحصر في اللغة العربية.

٢ – والإرادة في الآية الكريمة تكوينية وليست تشريعية...

إذ لا معنى لحصر إرادة الله تعالى في الشريعة بتطهير أهل البيت عليهم السلام فقط، فإن الله تعالى يريد «بالإرادة التشريعية» تطهير عامّة عباده. يقول تعالى: ﴿**مَا يُرِيدُ اللّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾[1].

إذن فلا تكون هذه الإرادة الإلهية بتطهير أهل البيت عليهم السلام، حصراً، إلا إرادة تكوينية، لا غير، فإن الله تعالى يريد بتشريع الدين تطهير عامة الناس، ولا يمكن أن يخصّص أهل البيت به دون غيرهم. لأنّ تشريع الدين، الذي هو تطهير الناس، لعموم الناس وليس لفئة خاصة من الناس.

٣ – وإذا أراد الله تعالى شيئاً بالإرادة التكوينية، فلا يمكن أن يتخلّف مراده تعالى عن إرادته. يقول تعالى:

﴿**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ**﴾[2].

فلا يمكن أن يتخلّف ما يريده الله تعالى عن إرادته،

---

(١) المائدة: ٦.

(٢) يس: ٨٢.

بخلاف الإرادة التشريعية، فإنّ الله يريد للناس جميعاً الإيمان والتقوى والصدق والأمانة وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وكثير من الناس يتخلفون عمّا يريده الله تعالى لهم من الإيمان والتقوى والصلاح.

٤ – وعليه فلابدّ من أن يتحقق الطُهر ويَذْهبُ الرجسُ من أهل البيت عليهم السلام، ولا يمكن أن يصدر عن أهل البيت عليهم السلام ما ينافي هذا الطُهر الذي أراده الله تعالى لهم، ولا يمكن أن يصدر منهم رجس (مطلقاً) في الأفعال والأقوال ونيّات القلوب بعد أن أذهبه الله تعالى عنهم: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾.

وهذا هو معنى العصمة: امتناع صدور الرجس والذنب عن المعصوم[1].

---

(١) ولا يسعنا المقام أن نجيب على الاعتراض الذي يمكن أن يخطر على بال الإنسان، وهو أن تقوى المعصومين وصلاحهم وعدالتهم على هذا التفسير يكون بإرادة من الله تعالى وليس بإرادتهم، لأنّ الله تعالى أراد لهم ذلك، فلا يستحقون الثواب، كما يستحق غيرهم الثواب على صلاحهم وتقواهم وعدالتهم، لأن التقوى لم يتم بإرادتهم وإنّما بإرادة الله.

٢ ـ مَن هم أهل البيت (ع)؟

من هم أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً؟

اختلفت كلمة الأعلام في تحديد أهل البيت عليهم السلام.

فقيل: هم زوجات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حصراً، دون الذين جمعهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تحت الكساء وهو قول لعكرمة وكان ينادي به في الأسواق.

وقيل: زوجات رسول الله وعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.

وأضاف إليهم بعضهم بني العبّاس وبني جعفر.

ولكن الذي نفهمه نحن من الروايات الصحيحة العديدة هو أن أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس هم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين عليهم السلام.

وهم الذين أدخلهم رسول الله تحت الكساء، وقال: «اللهمّ

أقول: لا يسعني الجواب على هذا السؤال فعلاً، وقد فصّلت الجواب عنه في كتاب (آية التطهير) بصورة مفصّلة، كما أجاب عنه آخرون من أعلام الإمامية الذين فسّروا هذه الآية المباركة.

هؤلاء أهل بيتي»، كما نقرأ ذلك فيما انتقيناه من الروايات في هذا الباب، فلم يجمع رسول الله ﷺ عند نزول هذه الآية أحداً تحت الكساء، كما وردت بذلك صحاح الروايات، يشير إليهم بقوله: (اللهم، هؤلاء أهل بيتي)، غير هؤلاء الأربعة علياً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام باتفاق أهل القبلة، كما يقول المحقق السيّد عبد الحسين شرف الدين، وهم الذين خرج بهم رسول الله ﷺ لمباهلة نصارى نجران، باتفاق المحدّثين والمفسرين وأرباب السِيَر.

وفيما يلي نستعرض نماذج من هذه الروايات الحاصرة لأهل البيت عليهم السلام في الخمسة الذين أشرنا إليهم، عليهم الصلاة والسلام، وهم المعروفون بـ(أهل الكساء) إشارة إلى الكساء الذي جلّلهم رسول الله ﷺ به.

ومن أراد التفصيل في الروايات الحاصرة لأهل البيت عليهم السلام برسول الله ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فعليه بمراجعة تفسير «الدر المنثور» لأبي بكر عبد الرحمن بن محمّد، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) في تفسير آية التطهير، في الجزء الخامس من تفسيره، و«جامع البيان» في تفسير القرآن لأبي جعفر محمّد بن جرير الطبري

(ت/٣١٠هـ) في تفسير آية التطهير في الجزء ٢٢ من تفسيره، والمراجع الأخرى في تفسير هذه الآية الكريمة.

وإليك النماذج التي اخترناها لك:

روى الحاكم في كتابه «المستدرك على الصحيحين» عن عبد الله بن جعفر ابن أبي طالب أنّه قال: «لما نظر رسول الله صلّى الله عليه وآله إلى الرحمة هابطة قال: «أُدعوا لي، ادعوا لي»، فقالت صفيّة: مَن يا رسول الله؟ قال: «أهل بيتي عليّاً وفاطمة والحسن والحسين»، فجيء بهم فألقى عليهم النبي صلّى الله عليه وآله كساءه ثمّ رفع يديه ثمّ قال: «اللّهمّ هؤلاء آلي فصلّ على محمّد وآل محمّد» وأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾.

قال الحاكم «هذا حديث صحيح الإسناد»[١].

وروى كلّ من الطبري وابن كثير في تفسيريهما والترمذي في صحيحه والطحاوي في (مشكل الآثار) واللفظ

---

(١) مستدرك الحاكم على الصحيحين ٣: ١٤٧ ـ ١٤٨.

للأوّل: عن عمر بن أبي سلمة، قال:

«نزلت هذه الآية على رسول الله صلّى الله عليه وآله في بيت أُمّ سلمة ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ...﴾ فدعا حسناً وحسيناً وفاطمة فأجلسهم بين يديه، ودعا عليّاً فأجلسه خلفه، فتجلّل هو وهم بالكساء ثمّ قال: «هؤلاءِ أهل البيت فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً»[1].

وفي رواية ابن عساكر بعده: «قالت أُمّ سلمة: اجعلني معهم، قال رسول الله ﷺ: «أنتِ بمكانك، أنتِ على خير».

وفي حديث واثلة بن الأسقع وأُمّ سلمة.

«أجلس عليّاً وفاطمة بين يديه، والحسن والحسين، كلّ واحد منهما، على فخذه أو في حجره»، كما رواه عن واثلة، الحاكم في مستدركه وقال: «صحيح على شرط الشيخين»، والهيثميّ في «مجمع الزوائد».

وفي تفسير الآية في «الدرّ المنثور» للسيوطي عن أبي

(١) صحيح الترمذي في تفسير آية التطهير من سورة الأحزاب، وتفسير ابن كثير ٣: ٤٨٥ في تفسير آية الأحزاب وتفسير الطبري ٢٢: ٦.

سعيد قال:

كـان يـوم أُمّ سـلمة أُمّ المـؤمنين فنـزل جبريـل عليه السلام بهـذه الآية: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ...**﴾ قال: فدعا رسول الله صلّى الله عليه وآلـه بحسـن وحسـين وفاطمـة وعلـيّ فضـمّهم ونشـر علـيهم الثوب، والحجاب على أُمّ سلمة مضروب، ثـم قـال: «اللّهـمّ هؤلاء أهل بيتي، اللهـمّ اذهـب عـنهم الـرجس، أهـل البيـت، وطهّرهم تطهيراً» قالت أُمّ سلمة(رض): فأنا معهم يا نبـيّ الله؟ قال: «أنتِ على مكانك وأنتِ على خير»[1].

وفي تفسير الطبري - أيضاً - عن أُمّ سلمه، قالت:

فاجتمعوا حول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم على بساط، فجلّلهم النبيّ بكساء كان عليه ثم قال: «هؤلاء أهل بيتي، فأذهـب عـنهم الـرجس، وطهّـرهم تطهيـراً»، فنزلـت هـذه الآيـة حـين اجتمعـوا علـى البساط. قالت: فقلت: يا رسول الله! وأنا؛ فوالله ما أنعـم، وقـال: «إنّكِ إلى خير»[2].

---

(١) تفسير آية التطهير بتفسير الدرّ المنثور للسيوطي ٥: ١٩٨.

(٢) تفسير آية التطهير من تفسير الطبري ٢٢: ٧.

وفي تفسير الطبري وذخائر العقبى للمحبّ الطبري، واللفظ للأوّل عن أبي سعيد الخُدري قال:

قال رسول ﷺ: «نزلت هذه الآية في خمسة فيَّ وفي عليّ وحسن وحسين وفاطمة» ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾»[1].

وفي «مجمع الزوائد» للهيثمي عن أبي سعيد الخُدري:

«أهل البيت الّذين أذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، فعدّهم في يده، فقال: خمسة: رسول الله ﷺ وعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام»[2].

ملاحظات على الروايات الشارحة لآية التطهير:

١ - يبدو أنّ رسول الله ﷺ كان حريصاً على تحديد وتشخيص عنوان «أهل البيت» الذي نزل فيه قرآن من الله تعالى، والمنع عن استعمال هذه الكلمة في غير أهله، ومن

---

(١) تفسير الطبري تفسير آية التطهير ٢٢: ٥ وذخائر العقبى للمحبّ الطبري: ٢٤ والدّر المنثور ٥: ١٩٨.

(٢) مجمع الزوائد للهيثمي ٥: ١٦٥ ـ ١٦٧ باب فضائل أهل البيت عليهم السلام.

إدخال مَن ليس منهم فيهم.

فكان ﷺ يشخصّهم بأسمائهم كما في رواية عبد الله بن جعفر:

«فيقول ﷺ اُدعوا لي اُدعوا لي، فتقول صفية: من. فيقول ﷺ: «أهل بيتي عليّاً وفاطمة والحسن والحسين»، ثم يؤكّد ﷺ هذا الحصر والتشخيص بقوله: «اللّهمّ هؤلاء آلي، فصلّ على محمّد وآل محمّد»، فينزل الله فيهم قرآناً محكماً: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ، أَهْلَ الْبَيْتِ، وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾[١].

ولا يخفى ما في هذه الكلمة: «اللّهمّ هؤلاء آلي» من الدلالة على حصر أهل البيت عليهم السلام فيهم، ونفيه عن غيرهم، لكلّ من عرف أساليب العرب في الكلام.

٢ - وإمعاناً في تشخيصهم وتحديدهم يحصرهم ﷺ تحت كساء، كما في رواية أُمّ سلمة رحمها الله:

«دعا رسول الله حسناً وحسيناً وفاطمة، فأجلسهم بين يديه،

---

(١) برواية الحاكم في مستدرك الصحيحين كما يأتي.

ودعا عليّاً فأجلسه خلفه، فتجلّل هو وهم بالكساء، ثم قال: هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرّجس ويطهّرهم تطهيراً»[١].

وهذا أبلغ ما يكون في الحصر، فكأنّما أراد رسول الله ﷺ أن يقطع على كل أحد عذر الالتباس، فيتجاوز دلالة الكلام بحصرهم تحت كساء واحد، ليكون أبلغ في الحصر، وأقوى في الدلالة.

٣ - وتتمنى أُمّ المؤمنين أُمّ سلمة(رحمها الله) التي نزلت الآية الكريمة في بيتها، أن تكون هي من أهل البيت، بعد أن جمع رسول الله ﷺ عليّاً وفاطمة والحسن والحسين، واجتمع بهم تحت الكساء وقال:

«اللهمّ هؤلاء أهل بيتي، أذهِبْ عنهم الرجس، أهل البيت، وطهّرهم تطهيراً».

فتقول أُمّ سلمة لرسول الله ﷺ:

«فأنا معهم يا نبيّ الله؟».

فيقول ﷺ لها:

---

(١) برواية الطبري وأبن كثير في تفسيريهما، والترمذي في صحيحه، والطحاوي في مشكل الآثار.

«أنتِ على مكانِكِ، وأنتِ على خير»[(١)].

فلا ينفي ﷺ أنّها رحمها الله على خير، ولكن ينفي أن تكون من «أهل البيت» وهي زوجته ومن أُمّهات المؤمنين.

ولا يبقى بعد ذلك - والرواية صحيحة - مجال في إدخال أُمّهات المؤمنين في عداد المقصودين بأهل البيت عليهم السلام، في هذه الآية الكريمة، بعد النفي الصريح القاطع من رسول الله ﷺ لدخول أُمّ سلمة رحمها الله، وهي من زوجات رسول الله ﷺ ومن أُمّهات المؤمنين فيهم.

٤ - ثم يصرّح رسول الله ﷺ في ذلك تصريحاً لا يترك لأحد شكّاً بعده، فيقول ﷺ:

«نزلت هذه الآية في خمسة: فيَّ، وفي عليّ، وحسن وحسين وفاطمة»[(٢)].

فهل يبقى لأحد شكّ، بعد هذا البلاغ النبوي الصادع في المقصود من «أهل البيت» في عصر نزول الآية الكريمة.

---

(١) رواها السيوطي في الدرّ المنثور، عن أبي سعيد.

(٢) رواها الطبري في التفسير، والمحب الطبري في ذخائر العقبى، عن أبي سعيد رحمه الله، ورواها ابن كثير في التفسير ٣: ٤٨٥.

وهل يشكّ أحد بعد كلّ هذا الإيضاح أنّ الآية الكريمة لم تشمل حين نزولها غير أُولئك الخمسة الطاهرة: رسول الله ﷺ، وعليّ، وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.

يقول الإمام شرف الدين رحمه الله:

(وقد اجتمعت كلمة أهل القبلة من أهل المذاهب الإسلامية كلّها على أنه ﷺ لمّا نزل الوحي بها - بآية التطهير - عليه، ضمّ سبطيه وأباهما وأُمّهما إليه، ثم غشّاهم ونفسه بذلك الكساء، تمييزاً لهم عن سائر الأبناء والأنفس والنساء، فلمّا انفردوا تحته عن أُسرته كافّة، واحتجبوا به عن بقية أُمّته بلّغهم الآية، وهم على تلك الحال، حرصاً على أن لا يطمع بمشاركتهم فيها أحد من الصحابة والآل، فقال مخاطبهم، وهم في معزل عن الناس كافّة: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾.

فأزاح ﷺ بحجبهم في كسائه حينئذ حجب الريب، وهتك سدف الشبهات، فبرح الخفاء بحكمته البالغة، وسطعت أشعة الظهور ببلاغه المبين، والحمد لله رب

العالمين)[١].

٥ – وإمعاناً في تحديد «أهل البيت» في الخمسة الذين نزلت فيهم الآية الكريمة، ونفي غيرهم، وإعلاماً للأُمة بما لايقبل الشكّ والتأويل بأهل البيت وعددهم في عصر نزول الآية الكريمة، أخذ رسول الله ﷺ يتلو هذه الآية الكريمة كل يوم على باب بيت الزهراء عليها السلام، حيث يجمع عليّاً والزهراء والحسنين عليهم السلام، بمرأى ومسمع من المسلمين.

عن أبي برزة، قال:

«صلّيت مع رسول الله ﷺ سبعة عشر شهراً، فإذا خرج من بيته أتى باب فاطمة عليها السلام فقال: الصلاة عليكم **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾**[٢].

وعن ابن عبّاس، قال:

«شهدت رسول الله ﷺ تسعة أشهر يأتي كل يوم باب عليّ بن أبي طالب عند وقت كلّ صلاة، فيقول: السلام

---

(١) الكلمة الغرّاء في تفضيل الزهراء، للإمام شرف الدين، المطبوع في كتاب (الفصول المهمة): ٢٠٤ ـ ٢٠٥.

(٢) رواها في مجمع الزوائد.

عليكم ورحمة الله وبركاته، أهل البيت ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾ كل يوم خمس مرات»[1].

وعن أنس بن مالك:

«صلّيت مع رسول الله ﷺ سبعة عشر شهراً، فإذا خرج من بيته أتى باب فاطمة عليها السلام فقال: الصلاة عليكم ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾ كلّ يوم خمس مرّات»[2]

وهي خطّة إعلامية عجيبة عمل بها رسول الله ﷺ لإزالة الالتباس عن «أهل البيت» في الآية الكريمة، وتحديده وحصره، بشكل لا يدع مجالاً لأحد في التلبيس أو الالتباس، وإدخال من ليس منهم فيهم، وإخراج من كان منهم عنهم.

ولأمر ما يكرّر رسول الله ﷺ هذه الحقيقة بأساليب

---

(١) رواها السيوطي في الدر المنثور.

(٢) رواها الترمذي في الصحيح، وأحمد في مسنده، والطيالسي في مسنده، والحاكم في مستدركه، وابن الأثير في أُسد الغابة، والطبري وابن كثير والسيوطي في تفاسيرهم.

مختلفة من البيان، مقرونة بأساليب مختلفة من العمل.

فيسمّي أهل البيت حيناً بأسمائهم، ويحصرهم حيناً آخر حصراً، فيقول: «اللهمّ هؤلاء آلي»، ويجمعهم تارة تحت كساء واحد يجلّلهم جميعاً، ليس تحته أحد غيرهم. فتتمنى أُمّ سلمة - زوجته - أن تدخل معه، فيردّها ردّاً رقيقاً.

ويعدّدهم - تارة أُخرى - بأسمائهم واحداً بعد واحد، ثمّ يأخذ بإعلام الأُمّة بهذا البيت الطاهر ومن فيه، بذلك الأُسلوب العجيب الذي ذكرناه، لمدة طويلة تختلف الروايات في تحديدها.

ويبقى أن نقول: حتى لو كان سياق الآيات من سورة الأحزاب سياق الخطاب لزوجات النبي ﷺ فلا يضرّ ذلك بما ذكرناه من حصر الآية الكريمة في الخمسة المطهّرة، دون غيرهم. وذلك لأن دلالة السياق لو تمّت فلا تزيد على أن تكون من الاجتهاد وليس نصاً في شمول الآية لزوجات رسول الله بالتأكيد. والاجتهاد لا يقاوم النص. وقد قرأنا النصوص الصريحة بأنّ الخمسة الذين أذهب الله عنهم الرجس هم: رسول الله ﷺ، وعلي، وفاطمة، والحسن والحسين عليهم السلام.

تشريع الخمس

يقول البراك: «أما موقف الإمام علي(رضي الله عنه) من التشيّع فهو بريء مما ينسب إليه من عقائد تخالف ما يعتقده بقية الصحابة كالقول بعصمة آل البيت وأخذ خمس أموال الرعية».

أقول: تشريع الخمس في القرآن الكريم في سورة الأنفال، وإن كان في مورد الحرب، ونزلت آية الغنيمة بعد معركة بدر، إلا أن دلالة الآية الكريمة أوسع من غنائم الحرب... وعلماء الأصول يقولون أن المورد لا يخصص الوارد.

يقول العلامة العسكريقدس سره: ولو كانت الآية الكريمة تقصد وجوب الخمس مما غنموا في الحرب خاصة، لكان ينبغي أن يقول عزّ اسمه: واعلموا أنّ ما غنمتم في الحرب، أو أن ما غنمتم من العدى، لا أن يقول: ﴿**أَنَّ مَا غَنِمْتُم مِن شيْءٍ**﴾، ثم ذكررحمه الله طائفة من الروايات الواردة في تعميم الخمس لأوسع من الحرب، فقال:

وفي مسند أحمد وسنن ابن ماجة، واللفظ للأول عن ابن

عباس: «قضى رسول الله في الركاز الخمس».

وفي صحيحي مسلم والبخاري وسنن أبي داود والترمذي وابن ماجة وموطأ مالك ومسند أحمد «وفي الركاز الخمس» (راجع معالم المدرستين ٢: ١١٥).

و«الركاز» كما في «لسان العرب» وغيره من المعاجم: قطع ذهب وفضة تُخرج من الأرض أو المعدن.

وعليه فان الركاز يشمل الكنز والمعدن. وقد فرض رسول الله ﷺ فيه الخمس.. والروايات وردت في الأعم من الحرب والسلم وهي صريحة في وجوب الخمس في الكنز.

❊ ❊ ❊

بين الشيعة والرافضة

يفرّق البراك بين الشيعة والرافضة.... ويرى أن الرافضة هم الذين يرفضون الشيخين وكثيراً من الصحابة...

أقول: إنما الشيعة هم الذين يشايعون علياً عليه السلام وأهل بيته في السلم والحرب، والحبّ والبغض.

وهذا الاتباع في الحب والبغض والسلم والحرب لعليّ عليه السلام وأهل بيته... مما أمر به رسول الله ﷺ وصحّ عنه ﷺ

أنه قال لعليّ وفاطمة والحسن والحسين: «أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم».

وقد روى هذه الرواية المحقق «محمّد الآمدي» من «مسند ابن شيبة» و«سنن ابن ماجة»، و«الجامع الكبير»، و«صحيح ابن حبان»، و«المعجم الأوسط»، و«تهذيب الكمال»، و«المستدرك»، و«الإصابة في تمييز الصحابة»، وغيرها من المصادر، وصحح الحديث[1].

وانطلاقاً من ذلك فان شيعة علي هم الذين يتّبعونه في الحب والبغض والسلم والحرب، عملاً بحديث رسول الله ﷺ، ولا نعرف أمراً آخر غير ذلك.

فإذا كان البراك يقصد بالرافضة الغلاة فلسنا منهم، وإن كان يقصد معنى آخر، فلا نعرف له مصداقاً...

* * *

تكفير المسلمين

يقول البراك: «وبغضّ النظر عن مواقفهم في تكفير بقية

(١) عليّ عليه السلام ميزان الحق للآمدي: ١٧١ ـ ١٧٤.

المسلمين ممن لا يؤمنون بمبادئهم».

أقول: قال الإمام الصادقعليه السلام في خبر سفيان بن السمط: «الإسلام هو الظاهر الذي عليه الناس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمّداً رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصيام شهر رمضان».

وعن الصادقعليه السلام في خبر سماعة: «الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله، والتصديق برسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم، وبه حقنت الدماء، وعليه جرت المناكح والمواريث، وعلى ظاهره جماعة الناس»[١].

وعن الإمام الباقرعليه السلام في صحيح حمران ابن أعين: «والإسلام ما ظهر من قول وفعل، وهو الذي عليه جماعة الناس من الفرق كلها، وبه حقنت الدماء، وعليه جرت المواريث، وجاز النكاح، واجتمعوا على الصلاة والزكاة والصوم والحج، فخرجوا بذلك من الكفر»[٢].

هذه طائفة من الأحاديث ذكرناها شاهداً على تعريف

---

(١) أُصول الكافي ٢: ٢٥ باب إن الإيمان يشرك الإسلام ح١.
(٢) المصدر نفسه ٢: ٢٦ ح٥.

(الإسلام) في مدرسة أهل البيتعليهم السلام عن الإمامين الباقر والصادقصلى الله عليه وآله من أئمة أهل البيتعليهم السلام.

وعلى هذا المعنى من الإسلام الذي يجمع الفرق الإسلامية كلها تجري المواريث والمناكح، ويخرج الناس عن الكفر، وتحقن الدماء.

وقال الصدوقرحمه الله من متقدمي محدثي الشيعة وأركانهم: «الإسلام هو الإقرار بالشهادتين، وهو الذي يحقن به الدماء والأموال، ومن قال لا إله إلا الله، محمد رسول الله، فقد حقن ماله ودمه، إلا بحقهما، وعلى الله حسابهما»[١].

وكلمات فقهاء الشيعة على هذا المنوال من الصدر الأول إلى اليوم، ولا أعرف في كلمات فقهاء الشيعة مَن يقول بتكفير المسلمين من أهل القبلة، ممن لا يقول بما يقول به الإمامية من ولاية أهل البيتعليهم السلام، ويبيح دماءهم وأموالهم.

وكل ما نجده في أحاديث أئمة أهل البيتعليهم السلام وكلمات فقهاء هذه المدرسة هو أن شهادة أن لا إله إلا الله وان محمداً

---

(١) الهداية: ١٠ باب الإسلام والإيمان.

سول الله ﷺ يحصّن الدماء والأموال إلا بحقهما، وتجري عليهما المناكح والمواريث.

وقد ورد في أحاديث أهل البيت عليهم السلام تأكيد على حقّ المسلم على المسلم (بشكل عام، وبغضّ النظر عن انتمائه إلى مذهب أهل البيت عليهم السلام).

يقول المعلّى بن خنيس: سألت أبا عبد الله الصادق عليه السلام عن حقّ المسلم على المسلم، فقلت له: ما حق المسلم على المسلم؟

قال أبو عبد الله: له سبع حقوق واجبات، ما منهن حقّ إلا وهو عليه واجب، إنّ ضيّع منها شيئاً خرج من ولاية الله وطاعته، ولم يكن لله فيه نصيب.

قلت له: جعلت فداك، وما هي:

قال: أيسر حقّ منها أن تُحبَّ له كما تُحبَّ لنفسك، وتكره له ما تكره لنفسك.

ثم يبسّط الإمام عليه السلام الكلام في حقّ المسلم على

المسلم[١].

يقول الشيخ المظفر في (عقائد الإمامية) في التعليق على هذا الحديث: وقد يتوهم المتوهّم أن المقصود بالأخوّة في أحاديث أهل البيت عليهم السلام خصوص الأخوّة بين المسلمين الذين من أتباعهم خاصة (شيعتهم خاصة)، ولكن الرجوع إلى رواياتهم كلّها يطرد هذا الوهم، ويكفي أن نقرأ حديث معاوية بن وهب قال:

قلت له - أي الصادق عليه السلام -: كيف ينبغي أن نصنع فيما بيننا وبين خلطائنا من الناس ممن ليسوا علي أمرنا؟

فقال: تنظرون إلى أئمتكم الذين تقتدون بهم، فتصنعون ما يصنعون، فوالله إنّهم ليعودون مرضاهم، ويشهدون جنائزهم ويقيمون الشهادة لهم وعليهم، ويؤدون الأمانة إليهم[٢].

* * *

(١) الكافي ٢: ١٣٥ ح٢، وسائل الشيعة ١٢: ٢٠٥، الخصال ٢: ٣٥٠.
(٢) الكافي ٢: ٢٦٤ ح٤، وسائل الشيعة: ١٢ ط. ٢ ح١٥٤٩٧.

التحدّي

وفي نهاية المقال يقول الشيخ البرّاك أنّه قد تحدّى الشيعة أن يثبتوا بدليل صريح متصل السند أنهم قد أخذوا عن آل البيت عليهم السلام شيئاً من عقائدهم التي يختلفون فيها مع أهل السنة.

يقول البرّاك: «كتبت عدة موضوعات طالبت فيها الشيعة أن يثبتوا بدليل صحيح صريح متصل السند على أحد من آل البيت، يثبت أنهم قد أخذوا عنهم شيئاً من العقائد التي يخالفون فيها المسلمين، وانتشرت هذه المقالات، ولكن لم يتقدم من شيوخهم ويقبل التحدي، رغم إني عرضت في بعضها جائزة قدرها مائة ألف دولار لمن يستطيع أن يأتي بدليل واحد صحيح يثبت ادعاءهم متابعة أهل البيت».

أقول: لعلّ السبب في عدم استجابة أحد من فضلاء الشيعة للتحدي ما يتضمنه التحدي من حيث الشكل والمضمون من إساءة الأدب استخدمها البراك في هذا التحدي.

أما من حيث الشكل فهو يقول: «شيئاً من العقائد التي يخالفون فيها المسلمين»... وهذا الكلام بمعنى أن الشيعة

خارجون عن الإسلام، وبحكم تكفير الشيعة على وجه الأرض[(١)] ولاشكّ أنه كلام سيئ يترفّع عن مناقشته فضلاء

---

(١) شيعة أهل البيت طائفة واسعة من المسلمين، يتبّعون الكتاب والسنّة ويلتزمون بما جاء به رسول الله ﷺ من عند الله، ويعتقدون أن حديث أهل البيت عليهم السلام في امتداد حديث رسول الله ﷺ.
وقد ورد في طائفة واسعة من الروايات عن رسول الله ﷺ: أنهم مصداق قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ**﴾.
راجع تفسير جامع البيان للطبري ٣٠: ١٧١ دار المعرفة بيروت في تفسير سورة البينة، وتفسير الدر المنثور في تفسير هذه الآية من سورة البينة والتفاسير الأثرية الأخرى في تفسير هذه الآية الكريمة من سورة البيّنة، ونذكر هنا نماذج من هذه الروايات:
روى السيوطي في الدر المنثور في تفسير قوله تعالى: ﴿**إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات أُولئك هم خير البرية**﴾ من سورة البينة: ٧.
قال: «أخرج ابن عساكر عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: كنّا عند النبي ﷺ، فأقبل: علي عليه السلام فقال النبي ﷺ: والذي نفسي بيده: إنّ هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة. ونزلت ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ**﴾.
ورواها العلامة عبدالرؤوف المناوي في (كنوز الحقائق: ٨٢) ولفظها «شيعة علي هم الفائزون» قال: وأخرجه الديلمي.

وروي الهيثمي في مجمع الزوائد كتاب المناقب، مناقب علي بن أبي طالب ٩: ١٣١. عن علي عليه السلام قال: «إن خليلي صلى الله عليه وآله وسلم قال: يا علي إنّك ستقدم على الله وشيعتك راضيين مرضيين، ويقدم عليه عدوّك غضاباً مقمحين»... رواه الطبراني في الأوسط.

وروى ابن حجر الهيثمي في الصواعق:٩٦.

قال وأخرج الديلمي قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: يا علي إن الله قد غفر لك ولذريتك وولدك ولأهلك وشيعتك ولمحبّي شيعتك فأبشر. (فضائل الخمسة من الصحاح الستة ٢: ١١٧ ـ ١١٨).

وعن أيوب السجستاني عن أبي قلابة قال: قالت أُمّ سلمة(رض) سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: شيعة علي هم الفائزون يوم القيامة. (بشارة المصطفى: ١٩٧).

علي وشيعته خير البرية:

روى ابن جرير الطبري في تفسيره بسنده عن أبي الجارود عن محمد بن علي في تفسير قوله تعالى: ﴿**أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ**﴾ قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أنت يا علي وشيعتك. (تفسير الطبري ٣٠: ١٧١ تفسير سورة البينة).

وأخرجه السيوطي في الدر المنثور عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال أيضاً أخرجه ابن عدي وابن عساكر مرفوعاً: «علي خير البرية».

وقال أيضاً أخرج ابن عدي عن ابن عباس، قال لما نزلت ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ**﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي أنت وشيعتك يوم القيامة راضيين مرضيين. (الدر المنثور للسيوطي تفسير سورة البينة).

الشيعة ومثقفوهم.. وكان أولى به أن يقول (العقائد التي يخالفون فيها غيرهم من المسلمين).. وهذا هو الذي علّمنا الله تعالى من الجدال بالتي هي أحسن.

ومن حيث المضمون يتحدى البرّاك المسلمين من شيعة

وقال أيضاً أخرج ابن مردويه عن علي عليه السلام قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ألم تسمع قول الله عز وجل: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ**﴾؟ أنت وشيعتك، وموعدي وموعدك الحوض. إذا جاءت الأمم للحساب، تدعون عزاً وتجلسون.

وقال ابن حجر في (الصواعق المحرقة):

«الآية الحادية عشرة قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ**﴾ قال: أخرج جمال الدين الزرندي عن ابن عباس: إنّ هذه الآية لما نزلت قال صلى الله عليه وآله وسلم لعليّ عليه السلام: هو أنت وشيعتك يوم القيامة راضيين مرضيين ويأتي عدوّك غضاباً مقمحين.(الصواعق المحرقة: ٩٦).

وذكره الشبلنجي في (نور الأبصار ٧٠:٧ و١١٠ نقلنا الروايات عن (فضائل الخمسة في الصحاح الستة للفيروزآبادي ١: ٣٢٨ ــ ٣٢٩ ط. المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام).

وقد أفرد الشيخ زكريا بركات درويش من فضلاء اليمن رسالة بهذا الموضوع جمع فيها الروايات الواردة بهذا المضمون عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في تفسير هذه الآية من سورة البينة جزاه الله خير الجزاء.

أهل البيت عليهم السلام، وهم يتجاوزون الـ ٣٠٠،٠٠٠،٠٠٠ نسمة على وجه الأرض، وفيهم المفكّرون والعلماء والمثقفون أن يعرضوا عليه دليلاً علمياً واحداً فقط على اتّباعهم لأهل البيت عليهم السلام.

ومعنى هذا السؤال أن هذه الأمة من المسلمين لا تملك دليلاً علمياً واحداً على استقامة مذهبهم، وإنما تلقوا التشيع واتبعوا أهل البيت عليهم السلام عن تقليد غير علمي للآباء... وهذه إهانة واضحة وإساءة أدب، لاشكّ في ذلك، لا يستخدمها العلماء، ولا يستجيبون لها، وكنا نحبّ أن يترفّع عنها فضيلة الشيخ البرّاك، فإن في شيعة أهل البيت عليهم السلام علماء ومفكرين ومتخصصين في حقول المعرفة، وقد أغنوا المكتبة الإسلامية في حقل الكلام والإمامة بعشرات الآلاف من الكتب. مثل كتاب «عبقات الأنوار» للمحقق السيد حامد حسين اللكهنوي الذي يربو على ثمانين مجلداً في إثبات إمامة أهل البيت عليهم السلام، ومنه كتاب «الغدير» للعلامة المحقق الشيخ الأميني يتحدث في كتابه كيف نصب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً عليه السلام إماماً ووليّاً على المسلمين في موقع الغدير، ويبحث الموضوع من حيث السند والدلالة والأدب في أحد عشر مجلداً، ومنه مؤلفات السيد

عبد الحسين شرف الدين، ومنه «إحقاق الحق» للقاضي نور الله التستري في عشرين مجلداً، وموسوعة «دلائل الصدق» للشيخ محمد حسن المظفر في سبعة أجزاء، ومنه «موسوعة الإمامة الكبرى» للسيد القزويني... ومنه «معالم المدرستين» للعلاّمة العسكري وما لا أستطيع إحصاءه من المؤلفات العلمية والموسوعات في هذا المجال، وهي مطبوعة وموفورة في المكتبات.

وليست المسألة بالسذاجة التي يتصورها البرّاك، فيتحدى الشيعة أن يأتوا بدليل واحد على صحة مذهبهم... من حديث أهل البيت عليهم السلام..

وطرح البرّاك بعد ذلك غير واضح،... فإن البراك يقول: «أن يثبتوا بدليل صحيح صريح»...

ونتساءل الصحيح عند مَن؟

فإن كان يريد دليلاً صحيحاً مقنعاً له فهو طلب لأمر غير ممكن في أغلب الظن... ولا يختص بهذا الموضع، فإذا سأله ملحد لا يؤمن بالله، أن يأتيه الشيخ بدليل صحيح يقنع الملحدين، على إثبات وجود الله تعالى، لا بحسب القواعد الموضوعية للجدل والمنطق، فهل يستطيع أن يأتي بدليل

صحيح يقنعهم؟

وإذا كان قادراً على ذلك فلماذا لا يكون سبباً لإيمان الملايين من الملحدين على وجه الأرض؟

وإذا سأله مسيحي أو بوذي أن يأتيهم بدليل صحيح مقنع للمسيحيين أو البوذيين على استقامة الإسلام وصحته وحقانيته، فهل يستطيع البرّاك أن يأتي بدليل صحيح يقنعهم؟

وإذا كان قادراً على ذلك فلماذا لا يكون سبباً لإسلام مئات الملايين من المسيحيين والبوذيين والهندوس وغيرهم؟

وأنا افترض أن البرّاك يقصد بالدليل الصحيح: الدليل العلمي الموضوعي الذي ينسجم مع قواعد الجدل والبرهان، طبقاً للأصول المعروفة في المنطق العلمي، اقتنع به البرّاك أو لم يقتنع.

وفيما يلي اقتصر على التنبيه، بالاختصار على نقطتين من مواقف أهل البيت عليهم السلام وأحاديثهم من الأمور التي ينفرد بها شيعتهم دون غيرهم من الفرق الإسلامية.

النقطة الأولى: موقف أهل البيت عليهم السلام من الخلافة والإمامة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

النقطة الثانية: موقف أهل البيت عليهم السلام وحديثهم عن مرجعية

أهل البيت عليهم السلام للمسلمين بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسوف أستعرض هاتين المسألتين على نحو الاختصار والإيجاز:

١ ـ الخلافة والإمامة

لقد تواترت الأخبار أن عليّاً عليه السلام لم يبايع أبا بكر، وتخلّف عن بيعته معترضاً، وكان يرى أن الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من حقه دون أبي بكر.

وهاتان القضيتان مما تواترت به الروايات وتواتر ذكره في المدونات الروائية، وفي كتب السيرة والتاريخ.

وهذا القدر يكفي للإجابة على تحدّي البراك. وشيعة علي عليه السلام لا يزيدون في أمر الإمامة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على ذلك.

فهم يعتقدون أن الإمامة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانت لعلي عليه السلام دون أبي بكر...

وهو مما انفرد به شيعة أهل البيت عليهم السلام دون غيرهم من الفرق الإسلامية.

ولابدّ لهذا الإجمال من تفصيل، وإليك هذا التفصيل بقدر ما يسمح به صدر هذا المقال:

امتناع علي عليه السلام من البيعة واعتراضه:

روى البخاري في الصحيح بسنده إلى الخليفة الثاني عمر بن الخطاب في حديث طويل، روى عن عمر: انه قد كان من خبرنا حين توفّى الله نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم، أن الأنصار خالفونا، واجتمعوا بأسرهم في سقيفة بني ساعدة، وخالف عنّا عليّ والزبير ومن معهما...[(١)]

ورواه الإمام أحمد في المسند في (مسند عمر بن الخطاب)[(٢)].

ورواه أبو جعفر الطبري في تاريخه[(٣)].

ورواه ابن هشام في السيرة[(٤)].

وروى الطبري عن الزهري أن عليّاً عليه السلام لم يبايع أبا بكر، ولم يبايعه أحد من بني هاشم حتى بايعه علي عليه السلام[(٥)].

---

(١) صحيح البخاري باب رجم الحبلى من الزنى إذا أحصنت (١٧/٣١) ح١ بالتسلسل العام ح ٦٨٣٠.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ١: ٥٥.

(٣) تاريخ الطبري ١٨٢٢:٤ ط. أوربا.

(٤) سيرة ابن هشام ٤: ٣٣٨.

(٥) تاريخ الطبري ٤: ١٨٢٥.

وقال ابن الأثير في الكامل:

والصحيح أن أمير المؤمنين ما بايع إلا بعد ستة أشهر[(١)].

وراجع تاريخ الخميس ١: ١٨٨ وتاريخ أبي الفداء ١: ١٥٦ والرياض النضرة ١: ١٦٧.

ويقول البلاذري: بعث أبو بكر عمر بن الخطاب إلى علي(رضي الله عنهم) حين قعد عن بيعته، وقال ائتني به بأعنف العنف، فلما أتاه جرى بينهما كلام، فقال (أي علي لعمر): احلب حلباً لك شطره[(٢)].

ويقول البلاذري وأبو الفداء وابن عبد ربّه:

بعث أبو بكر عمر بن الخطاب مع جماعة إلى عليّ ليخرجهم من بيت فاطمة، وقال: إن أبوا عليك فقاتلهم.

وقد أمر الخليفة أبو بكر عمر بن الخطاب بكشف بيت فاطمة، لإحضار عليّ إلى البيعة بالعنف، وكان أبو بكر يأسف لذلك في مرضه الذي مات فيه.

روى الذهبي في (ميزان الاعتدال) عن العقيلي حديثاً أقرّ

---

(١) الكامل لابن الأثير حوادث (سنة ١١) ٢: ٣٢٥، دار صادر بيروت.

(٢) أنساب الأشراف ١: ٥٨٧.

الذهبي بصحته عن عبد الرحمن بن عوف، قال: دخلت على أبي بكر أعوده، فاستوى جالساً، فقال (من جملة كلامه): «إنّي لا آسى على شيء إلا على ثلاث وددت إنّي لم اكشف بيت فاطمة وتركته، وأن اغلق على الحرب»[1].

ورواه الحافظ ابن حجر العسقلاني في لسان الميزان[2].

ورواه الطبري في التاريخ[3] والمسعودي في مروج الذهب[4] والذهبي في التاريخ[5]، والروايات في ذلك كثيرة في كتب الحديث والتاريخ والسيرة، ونكتفي بهذا المقدار.

وكانت الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع علي عليه السلام في كلّ هذه المواقع، ولا نريد أن ندخل في تفاصيل هذا الحديث.

روى شمس الدين أبو الخير الجزري الدمشقي الشافعي

---

(١) ميزان الاعتدال ٣: ١٠٩ في ترجمة علوان بن داود البجلي، دار المعرفة ـ بيروت.

(٢) لسان الميزان ٤: ١٨٩.

(٣) تاريخ الطبري ٢: ٦١٩.

(٤) مروج الذهب ١: ٤١٤.

(٥) تاريخ الإسلام للذهبي ١: ٣٨٨.

في كتابه (أسنى المطالب) بسنده المتصل إلى فاطمة بنت رسول الله ﷺ قالت: «أنسيتم قول رسول الله ﷺ يوم غدير خمّ: من كنت مولاه فهذا عليّ عليه السلام مولاه» وقوله ﷺ: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى».

هكذا أخرجه الحافظ الكبير أبو موسى المديني في كتابه المسلسل بالأسماء[1].

وقد ماتت فاطمة وهي غاضبة على الشيخين وأوصت أن تدفن سراً، ولا يحضرون جنازتها ولا الصلاة عليها، احتجاجاً[2].

ولكن الإمام عليه السلام عندما وجد أن موقفه من الخلافة يضعف الصفّ الإسلامي آثرَ أن يبايع أبا بكر على الخلافة.

يقول عليه السلام في كتاب له لأهل مصر مع مالك الأشتر لما ولاه مصر: «فوالله ما كان يلقى في روعي، ولا يخطر ببالي أن

(١) الغدير ١: ١٩٦، وسمّي هذا الحديث بالحديث المسلسل بالفواطم لوقوع ست من الفواطم في سنده.

(٢) راجع صحيح البخاري كتاب المغازلي وصحيح مسلم ٥ كتاب الجهاد، وسنن البيهقي ٦: ٣٠٠٠ و الطحاوي في مشكل الآثار ١: ٤٧.

العرب تزعج هذا الأمر من بعده ﷺ عن أهل بيته، فما راعني إلا إنثيال الناس على فلان، يبايعونه فأمسكت يدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام، يدعون إلى محق دين محمد ﷺ، فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً تكون المصيبة به عليَّ أعظم من فوت ولايتكم»[(١)].

وقال عليه السلام: «لقد علمتم أنّي أحقّ بها من غيري، ووالله لأُسلِمَنّ ما سَلِمت أمور المسلمين، ولم يكن فيها جور إلا عليّ خاصة»[(٢)].

ونكتفي بهذا المقدار في استعراض الروايات التي تكشف عن عدم رضا الإمام علي عليه السلام وسخطه بما جرى من انتصاب الخليفة الأول، ومن بعده الخليفة الثاني والثالث أئمة للمسلمين من بعد رسول الله ﷺ.

وهذا الذي ذكرناه من حقائق التاريخ والسيرة والحديث، لا يمكن تجاهله، ولا رفضه، ولا التشكيك فيه، ولم نكن

(١) نهج البلاغة الكتاب: ٦٢.

(٢) نهج البلاغة الخطبة: ٧٤.

بحاجة إلى هذا التفصيل لولا التثبت من النتائج التي سوف نصل إليها إن شاء الله في التحليل الذي يرد بعد هذا العنوان.

أربعة نقاط قبل التحليل:

ولكي يستكمل البحث أدواته العلمية الضرورية للتحليل نقدم فيما يلي أربع نقاط لهذه الغاية:

النقطة الأولى والثانية:

إن الروايات المتواترة في امتناع الإمام علي عليه السلام عن بيعة الخليفة الأول واعتراضه عليها، والتي استعرضنا نماذج منها تدل على نقطتين اثنتين:

النقطة الأولى: عدم رضا الإمام عليه السلام، بل غضبه وسخطه على ما جرى في السقيفة من بيعة الخليفة الأول، وكذلك عدم رضا وغضب الصديقة الزهراء فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

النقطة الثانية: إنّ الإمام عليه السلام كان يرى ويعتقد أن الإمامة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حقه الذي لا يجوز لأحد أن يزعجه عنه.

وهذا وذاك مما لا يمكن إنكاره أو التشكيك فيه، والتشكيك فيه بحكم التشكيك في بديهيات التاريخ والسيرة.

وهذا الحد يكفي في الإجابة على تحدي الشيخ البرّاك... فهذا علي سيد أهل البيت عليهم السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهذه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سيدا أهل البيت، يرفضان بيعة الخليفة الأول ويعتقدان أن الإمامة من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام حصراً. وبيعة علي عليه السلام بعد ذلك لأبي بكر لئلاً يؤدي امتناعه عن البيعة إلى ثلمة في الاسلام أعظم من ذلك، لا يحمل معنى استحقاق الخليفة الاول للخلافة عند علي عليه السلام وفاطمة عليها السلام سيدة أهل البيت، ولا على رضاه بخلافته، وإنما اضطر إلى ذلك للمحافظة على أصل الاسلام. وبقيت الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام غاضبة ساخطة على الشيخين كما ترويه الصحاح حتى وفاتها، وهي سيدة أهل البيت الأولى بلا معارض.

النقطة الثالثة: تنزيه الإمام عليه السلام والصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام.

لقد صحّ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال عن علي عليه السلام: «عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ حيث كان». «وعليّ مع القرآن والقرآن مع عليّ لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض».

أخرجه جمع غفير من الحفاظ، منهم البزار في مختصر زوائد مسند البزار ٢: ١٧٣ - ١٧٤ وأبو يعلى في مسنده ٢: ٣١٨ وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٢:٤٤٩. والهيثمي في مجمع الزوائد ٧: ٢٣٤ - ٢٣٥ وابن المغازلي في المناقب: ٢٤٤ ح ٢٩١ والحاكم في المستدرك ٣: ١٢٤ - ١٢٥ وابن حجر العسقلاني في تهذيب التهذيب ١٠: ٦٢ - ٦٣ وجمع آخرون من حفاظ الحديث النبوي[١].

وعليٌّ عليه السلام سيّد أهل البيت عليهم السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سيّدة أهل البيت، وفيهم نزلت آية التطهير التي تنزّههم عن الرجس، وتعلن بأنّ الله تعالى قد طهّرهم تطهيراً، وقد تحدثنا عن ذلك.

وأعلن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنهم الثقل الأصغر بعد كتاب الله، وعلى المسلمين أن يرجعوا إليهم في حدود الله وشريعته وأحكامه.

فلا يمكن أن يتصور أحدٌ أن مواقف الإمام عليه السلام والزهراء

---

(١) راجع: عليّ عليه السلام ميزان الحق للمحقق الآمدي: ٣١٧ ـ ٣٣٨.

فاطمةعليها السلام مواقف صادرة من الانفعال النفسي والمنافسة على الزعامة وحطام الدنيا.

ولابدّ أن يكون لهذا الامتناع والاعتراض أساس شرعي، ولابدّ أن يكون لموافقتهم ومخالفتهم وإعراضهم واستجابتهم ورفضهم أساس شرعي واضح ولذلك اعترضت الصديقة فاطمة الزهراءعليها السلام على تقديم أبي بكر على عليعليه السلام بالخلافة والإمامة بحديث الغدير (من كنت مولاه فهذا علي مولاه) كما يروي ذلك شمس الدين أبو الخير الجزري الشافعي في (أسنى المطالب) بسنده المتصل إلى فاطمةعليها السلام.

النقطة الرابعة: انعقاد البيعة بالإمامة في الفقه.

إنّ البيعة للإمام تنعقد بعدد يعتدّ به من أصحاب الحلّ والعقد وبعدد يعتد به من المسلمين ولا يجب حضورهم جميعاً للبيعة، فإذا بايع عدد يعتد به من المسلمين وفيهم عدد من أصحاب الحلّ والعقد، واستجاب الإمام للبيعة... انعقدت البيعة له، ولزم الآخرين ووجب عليهم متابعة المبايعين له، ومبايعة الإمام وطاعته، ولا يجوز التخلّف عنه.

وقد انعقد على ذلك إجماع الفقهاء[1].. فكيف يمتنع علي عليه السلام وفاطمة الزهراء عليها السلام عن بيعة الخليفة بعد ذلك لو انعقدت له الخلافة بصورة شرعية، فهل يمكن توجيه ذلك كلّه إلاّ أن نقول: إنّ سيدي أهل البيت (علياً وفاطمة) عليهما السلام لم يعترفا لابي بكر بشرعية الإمامة والخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى بعد أن تمّت له البيعة في السقيفة.

النتائج الأربعة

طبقاً للشرح المتقدم نتوصل إلى أربع نتائج بصورة

---

(١) راجع: تفسير القرطبي ١: ١٨٥ ـ ١٨٦ في تفسير الآية ٣٠ من سورة البقرة ومنهاج السنة النبوية لابن تيمية ١:١٤١، والأحكام السلطانية للماوردي: ٦ ـ ٧ والمغني للقاضي عبدالجبار الجزء العشرين، القسم الأول: ٣٠٣ ط ١٩٦٦، والإيجي في المواقف: ٣٩٩ ـ ٤٠٠ والفصل في الملل والنحل لابن حزم ٤: ١٦٧ وشرح جلال الدين المحلى على منهاج النووي ٤: ١٧٣ ط محمد علي صبيح وأصول الدين للبغدادي: ٢٨٠ ـ ٢٨١ والنووي والرملي في منهاج الطالبين وشرحه ٧: ٣٩٠ والإرشاد إلى قواطع الأدلة في الاعتقاد: ٤٢٤ مطبعة السعادة بمصر وأصول الدين للبزدوي: ١٨٩ والروضة للنووي: ٢٦٧ وغير ذلك من المصادر.

طبيعية، وفيما يلي استعراض لهذه النتائج على نحو الاختصار:

١ - لا يمكن ردّ التحليل المتقدم بان غضب الإمام وسخطه وعدم رضاه لما جرى في السقيفة وكذلك غضب الصديقة فاطمة عليها السلام كان بسبب عدم استشارة الإمام عليه السلام في أمر البيعة، وإنما الصحيح أن نقول أن سخطه وغضبه عليه السلام كان بسبب أنه عليه السلام كان يرى أن الإمامة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حقه هو دون غيره.

٢ - لو كان مبدأ الاختيار في الإمامة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صحيحاً، لم يكن للإمام عليه السلام بعد انثيال الناس على الخليفة - كما يقول الإمام عليه السلام في رسالته إلى أهل مصر - أن يعترض ويمتنع عن البيعة، لأنّ البيعة تمت بصورة شرعية بحضور الناس، ولم يرشّح الإمام عليه السلام نفسه للبيعة، بسبب اشتغاله بتجهيز رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسبقه إليه أبو بكر، وبايعه الناس.

فلماذا الامتناع والاعتراض... وقد قرأنا قبل قليل إجماع الفقهاء على وجوب البيعة للإمام على عامة الناس لو تمّت له بصورة شرعية.

وإذا كان مبدأ الاختيار هو المبدأ الشرعي للبيعة، فإنّ البيعة تنعقد بصورة شرعية، بأقّل من هذا العدد الذي بايع أبا

بكر من المهاجرين والأنصار. ولم يبق للإمامعليه السلام حق إلا العتاب، دون الامتناع والاعتراض، وكان عليه أن يستجيب للبيعة، ثم يحتفظ لنفسه بحق العتاب، وهو أمر آخر، ولا يتطلب الامتناع والاعتراض... لولا أن الإمامعليه السلام كان يعتقد أن الإمامة بعد رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم حق شرعي له، ولا يصح لأحد أن يبايع الخليفة الأول مع حياته وحضوره.

يضاف إلى ذلك الروايات الكثيرة التي يرويها أصحاب السير والمحدثون من تصريح الإمامعليه السلام مرات كثيرة بأنّ الإمامة كانت من حقه بعد رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم وأنه لم يكن يتوقع أن يزعج عنه أحد هذا الحق.

وإذا عرفنا أن مواقف الإمامعليه السلام وحديثه حجة على الآخرين لقول رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم فيه «عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ»، ولأنه كان من النفر الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً... فلابدّ أن يكون لموقف الإمام في الامتناع والاعتراض سبب شرعي.

وهذا السبب لا يكون إلا لأن الإمامة بعد رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم لا ينعقد لأحد يكون بالاختيار والانتخاب، وإذا ألغينا مبدأ الاختيار في انتخاب الإمام فلا يبقى إلا مبدأ النص، وهو

الذي كان يراه الإمام، ويرى أن رسول الله ﷺ قد خصه به يوم الغدير وغيره على مرأى ومسمع من الناس. وليس هناك من أمر آخر على كل الآراء والمباني الفقهية المعروفة، فإنّ آراء المسلمين في الإمامة لا تزيد على ثلاث:

١ - مبدأ الاختيار.

٢ - مبدأ الغلبة العسكرية.

٣ - مبدأ النص.

وإذا ألغينا شرعية مبدأ الاختيار، فلابدّ أن نلغي شرعية مبدأ الغلبة العسكرية على نحو أولى، فلا يبقى إلا مبدأ النص... والإمام يرى أن رسول الله ﷺ قد خصّه بالنص في حياته، وكلماته في ذلك واضحة... ولذلك كان الاعتراض والامتناع حتى لو لم نقل بعصمة الإمام... فإنّ آية التطهير وحديث الثقلين وحديث «عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ» وعشرات الأحاديث الأخرى التي صحّت عن رسول الله ﷺ في الإمام عليه السلام تلزمنا أن نأخذ برأي الإمام وموقفه عند تقاطع الآراء والمواقف.

٣ - لقد اضطرّ الإمام عليه السلام إلى البيعة، يوم عرف أن امتناعه عن البيعة يؤدي إلى خلل في المجتمع الإسلامي الناشئ

يومذاك، فتكون مصيبته بالخلل في الإسلام والأمة الإسلامية أعظم من مصيبته في عزله عن حقه الذي خصّه به رسول الله ﷺ فأقدم على البيعة.

يقول عليه السلام: «فأمسكت بيدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام، يدعون إلى محق دين محمّد ﷺ فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً فتكون المصيبة به عليَّ أعظم من فوت ولايتكم»[1].

فأقبل على مبايعة الخليفة للمحافظة على كيان الإسلام والأمة الإسلامية.

وهو كان سبب بيعة الإمام عليه السلام لا ما يذكره المؤرخون أن وجوه الناس قد تحوّلت عنه بعد وفاة بنت رسول الله ﷺ فأقدم على بيعة الخليفة.

وبناءً على ذلك فلا تغيّر بيعة الإمام عليه السلام – عن اضطرار – موازين الحكم الشرعي في الإمامة.

فإنّ الإمام عليه السلام يعتقد ويؤمن بأنّ الإمامة بعد رسول الله ﷺ

---

(١) نهج البلاغة الكتاب رقم ٦٢.

لا تكون بالاختيار والبيعة، وإنما تتحقق بالنص. فإذا اضطرّ هو إلى البيعة، لئلا يحدث الخلل في الإسلام، وفي الأمّة الإسلامية، لن تكون بيعته سبباً لتغيير المباني الشرعية للإمامة والولاية بعد رسول الله ﷺ.

٤ - وإذا واجهنا اختلافاً في الرأي بين الشيخين وأصحابهم من جانب والإمام عليه السلام من جانب آخر في مباني الإمامة والولاية بعد رسول الله ﷺ فإنّنا لا نتردد في إتباع الإمام علي عليه السلام في رأيه وعقيدته، انطلاقا من «آية التطهير» و«حديث الثقلين» و حديث «عليّ مع الحقّ» وسائر الأحاديث التي صحّت عن رسول الله ﷺ في اتّباع الإمام عليه السلام بعد رسول الله ﷺ.

٢ ـ مرجعية أهل البيت (ع) الدينية للمسلمين

وهذه هي النقطة الثانية التي نذكرها في الجواب على تحدّي الشيخ البراك لشيعة أهل البيت، وهي مرجعية أهل البيت عليهم السلام على امتداد العصور للمسلمين في أمور الدين وأحكام الشريعة، وتبيين حدود الله تعالى في الحلال والحرام.

وهي ثابتة برواية أهل البيتعليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهي كذلك مما ينفرد به شيعة أهل البيتعليهم السلام دون غيرهم.

فهم يعتقدون بمرجعية أهل البيتعليهم السلام للمسلمين على امتداد التاريخ، في كل العصور في الفقه والعقائد والثقافة، وعرفوا لذلك فيما بين المسلمين، بأتباع أهل البيت وشيعتهم.

وأما الدليل على ذلك في حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورواية أهل البيتعليهم السلام فهو أحاديث ونصوص كثيرة متضافرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نقتصر منها على حديث الثقلين الذي تواترت روايته عند الفريقين، وإليك متن الحديث وسنده ودلالته:

متن حديث الثقلين:

ورد هذا الحديث في روايات كثيرة، ويبدو أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تحدّث به في أكثر من موضع ورواه أئمة الحديث والتفسير والتاريخ بألفاظ مختلفة، ونحن ننقل الحديث ببعض ألفاظه الواردة في كتب الحديث:

«أيها الناس إنّما بشر أوشك أن أدعى فأُجيب، وأني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما (أو ما إن اعتصمتم بهما) لن تضلّوا أبداً – وهما: كتاب الله وعترتي أهل بيتي – أحدهما

أثقل من الآخر، وإنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فاتقوا الله وانظروا كيف تخلفوني (أو كيف تحفظوني) فيهما (أو أن اللطيف الخبير أخبرني أنّهما لن يفترقا حتى يلقياني) فلا تسبقوهم فتهلكوا، ولا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم، وتوشكون أن تردوا عليَّ الحوض وأسألكم حين تردون عليَّ عن الثقلين كيف خلفتموني فيهما، فمن استقبل قبلتي وأجاب دعوتي فليستوص بهما خيراً».

وهذا الذي رويناه مزيج من بعض ألفاظ الحديث، ومن يريد الوقوف على كل ألفاظ الحديث، فليراجع الرسالة القيّمة التي أصدرها «مجمع التقريب بين المذاهب الإسلامية في القاهرة» في هذا الحديث(١) للشيخ المحقق الوشنوي.

سند الحديث:

وقد ورد هذا الحديث ببعض ألفاظه في صحيح مسلم (٧: ١٢٢)، وسنن الترمذي (٢: ٣٠٧)، وسنن الدارمي (٢: ٤٣٢)، ومسند أحمد بن حنبل (٣: ١٤ و٢١٧)، و:٢٦و٥٩، و(٤: ٣٦٦

---

(١) حديث الثقلين، إصدار مجمع التقريب: ٦ ـ ٩.

و: ٣٧١)، وأيضاً في (٥: ١٨٢ و١٨٩)، وخصائص النسائي: (٣٠)، ومستدرك الحاكم (٣: ١٠٩ و١٤٨ و٥٣٣)، والحافظ الكنجي الشافعي في كفاية الطالب في الباب الأول: (١١) في بيان صحة خطبته بماء يدعى خما، قال بعد نقل الحديث: «أخرجه مسلم في صحيحه، ورواه أبو داود وابن ماجة القزويني في كتابيهما، وأيضاً في الباب الحادي والستين: (١٣٠)، والطبقات لمحمد بن سعد الزهري البصري في الرابع: (٨)، والحلية لأبي نعيم الأصبهاني (١: ٣٥٥)، وأُسد الغابة لابن الأثير الجزري في (٢:١٢)، وفي (٣: ١٤٧)، والعقد الفريد لابن عبد ربه القرطبي في الجزء الثاني في خطبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حجّة الوداع: (٣٤٦ و ١٥٨)، وتذكرة الخواص في الباب الثاني عشر: (٣٣٢) لابن الجوزي، قال بعد نقل قول جدّه: «وقد أخرجه أبو داود في سننه والترمذي أيضاً وذكره رزين في الجمع بين الصحاح»، والعجب كيف خفى عن جدّي ما روى مسلم في صحيحه من حديث زيد بن أرقم... الخ، وإنسان العيون لنور الدين الحلبي الشافعي (٣: ٣٠٨)، وذخائر العقبى لأحمد بن عبد الله الطبري: (١٦)، والسراج المنير للعزيزي الشافعي في شرح الجامع الصغير للسيوطي (١:

٣٢١)، وفي هامشه أيضاً للشيخ محمد الحنفي، والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي: (٢)، ونسيم الرياض لشهاب الدين الخفاجي (٣: ٤١٠)، وفي هامشه المسند للإمام أحمد بن حنبل (١: ٩٦و ١٠١)، و(٢: ٣٩٠)، و(٥: ٩٥)، والكشف والبيان للثعلبي في تفسير آية الاعتصام (٣: ١٨)، وتفسير النظام للنيسابوري في تفسير آية الاعتصام (١: ٢٥٧)، و(ج٤) في تفسير آية المودة: ٩٤، وأيضاً في تفسير آية ﴿سنفرغ لكم أيها الثقلان﴾: (٢١٢)، وابن كثير الدمشقي في تفسير آية المودة (٤: ١١٣)، وفي آية التطهير (٣: ٤٨٥)، وأيضاً في تاريخه في (ج٥) أو (ج٦) ضمن حديث الغدير، والمواهب العلية لحسين الكاشفي في تفسير آية ﴿سنفرغ لكم أيها الثقلان﴾، والنهاية لابن الأثير الجزري في (ج١)، وأيضاً في الدرّ المنثور للسيوطي: (١٥٥)، ولسان العرب لجمال الدين الأفريقي المصري في (ج٦) في لغة العترة، وفي (ج١٣) في لغة الثقل والحبل والقاموس لمجد الدين الشيرازي في لغة ثقل، ومنتهى الأرب لعبدالرحيم الصفي في لغة الثقل، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي في (ج٦) في معنى العترة: (١٣٠)، ومدارج النبوة لعبدالحق الدهلوي: (٥٢٠)

والمناقب المرتضوية لمحمد صالح الترمذي الكشفي: (٩٦ و١٠٠ و ٤٧٢)، ومفتاح كنوز السنة: (٢ و: ٤٤٨)، ومصابيح السنة للإمام البغوي الشافعي (٢: ٢٠٥ - ٢٠٦)، وابن حجر في الصواعق: (٧٥ و: ٨٧ و: ٩٠ و:٩٩ و: ١٣٦)، وإسعاف الراغبين بهامش نور الأبصار للشبلنجي: (١١٠)، وينابيع المودّة لسليمان بن إبراهيم البلخي الحنفي: (١٨ و:٢٥ و: ٣٠ و:٣٢ و:٢٤ و:١١٥ و:١٢٦ و:١٩٩ و: ٢٣٠ و:٢٣٨ و:٣٠١)، والسيد مير حامد حسين الهندي، رواه عن جماعة تقرب من المائتين من أكابر علماء المذاهب من المائة الثانية إلى المائة الثالثة عشرة، وعن الصحابة والصحابيات، أكثر من ثلاثين رجلاً وامرأة كلّهم رووا هذا الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم[1].

❊ ❊ ❊

دلالة الحديث:

١ - يبيّن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في هذا الحديث أن أهل

---

(١) نقلنا أكثر هذه المصادر عن كتاب الغدير، للعلاّمة الأميني ورسالة حديث الثقلين، إصدار مجمع التقريب للشيخ الوشنوي.

البيت عليهم السلام هم صنو القرآن، ولا يتخالفان، ولا يفترقان، ولا يزالان كذلك إلى يوم القيامة.

وهو ظاهر في أنّ الله تعالى يعصمهم من الخطأ ومخالفة القرآن «وأنّهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض».

٢ – ويوصي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المسلمين بالتمسّك والاعتصام بهما من بعده إلى قيام الساعة في شؤون دينهم.

٣ – ويعلن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للمسلمين يومئذٍ أنهما يعصمان المسلمين من الضلال والزيغ. فمن اعتصم بهما عَصَمَهُ الله تعالى من الضلال: «ما إن تمسكتم بهما- اعتصمتم بهما -لن تضلوا بعدي».

٤ – وتبقى وتستمر هذه العصمة لهذه المرجعية إلى أن يردا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحوض، «وأنّهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض»، ويبقى كتاب الله وأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرجعاً أميناً للمسلمين في أمور دينهم إلى يوم يلقون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الحوض.

٥ – ويوصيهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يتعلّموا منهما، ولا يعلّموهما ويتّبعوهما، ولا يسبقوهما في قول أو فعل..

على أننا لا نعرف لحديث (كتاب الله وسنتي) سنداً

صحيحاً، ولكننا نؤمن من بهما ونعتقد أن حديث أهل البيت امتداد لحديث رسول الله ﷺ ورواية له.

وعلى أساس هذا الحديث وقبله (آية التطهير) نحن نرجع إلى أهل البيت عليهم السلام في فقهنا دون غيرهم.

ويبقى أن نشير إلى أن هذا الحديث لا ينافي حديث التمسك بكتاب الله وسنّة رسول الله ﷺ، فإنّ أهل البيت عليهم السلام امتداد لسنة رسول الله ﷺ وليسوا بديلاً عنها.

وليس أهل البيت عليهم السلام من أهل الرأي والاجتهاد، وإنّما هم يروون لنا سنّة رسول الله ﷺ في كل ما يقولون ويأمرون به لا يزيدون عليه ولا ينقصون، كما وصلنا ذلك من تصريح أهل البيت عليهم السلام في مختلف العصور في أحاديثهم الكثيرة أنهم لن يزيدوا فيما يتحدثون به عن حديث رسول الله ﷺ وكلما يتحدثون به فهو حديث رسول الله ﷺ، ورثوه كابراً عن كابر.

وأما كيف خفي على سائر الصحابة هذه الأحاديث التي ورثها أهل البيت عليهم السلام.. فقد تحدث عنها علماء أهل البيت كثيراً، وتحدثت عنه في كتاب (آية التطهير) ومن أراد فله أن يراجع هذا الكتاب.

ونقول دون أن ندخل في هذا النقاش ونقطع الطريق عليه عاجلاً: إن في آية التطهير وحديث الثقلين الجواب على ذلك، فإن الله أخبرنا بتطهيرهم وصدقهم، فإذا أخبرونا بحديث عن رسول الله ﷺ فليس لنا أن نشكك في صحة الرواية عنهم، ورسول الله ﷺ قد أمرنا بأن نرجع إليهم في أمور ديننا من فقه وعقيدة وأصول وفروع بعد القرآن الكريم، فإذا حددوا لنا حدود الفقه وأصلوا لنا الأصول والفروع في إطار الكتاب الكريم فليس لنا أن نشكك في حديثهم، وإذا قالوا ذلك عن حديث رسول الله ﷺ فليس لنا أن نشكك في روايتهم.

❊ ❊ ❊

أما بعد فقد أطلنا الوقوف مع الشيخ (البرّاك)، وما كان ينبغي أن نقف معه هذا الموقف الطويل، لولا الحرص على وحدة كلمة المسلمين وانسجامهم، وتفاهمهم، وإئتلافهم، وتحاببهم في الله، وقطع الطريق على من يعمل لتفريق كلمة المسلمين وإثارة الفتنة بينهم، وإضعاف موقفهم وكلمتهم، عن قصد أو غير قصد.

فإنّ من الطبيعي أن هذه الموجة من الاتهامات تقابلها

أمـواج معاكسـة، ومـن الطبيعـي أن يتصـاعد هـذا التراشـق المتبادل بـين المسـلمين، ومـن الطبيعـي أن يـؤدي ذلـك إلـى شرخ في الصف الإسلامي، وانشطار في الموقـف، وإضـعاف للأُمّة وثلمة في كلمة المسلمين...

وعندئذٍ تقف أمريكا وإسرائيل والأنظمة الغربيـة المناوئـة للإسلام تتفرّج على محنة المسلمين وصراعاتهم الداخلية.

ولست أتّهم الشيخ البرّاك أنـه يقصـد الإثـارة والفتنـة بـين المسلمين، ويريد تفتيت الصف الإسـلامي ويريـد أن يمكّـن الاستعمار العالمي الأمريكي، وإسرائيل من بـلاد المسـلمين... لست أقول شيئاً من ذلـك ولـيس لـي أن أقـول ذلـك، ولكنّـي أقـول أن التنـاول غيـر العلمـي، والتشـهيري، لهـذه المسـائل الحسّاسة، وفـي أجـواء غيـر علميـة، بهـذه اللغـة الاسـتفزازية يؤدّي إلى هذه النتيجة، أراد الشيخ، أم لم يرد.

فليس يصحّ علميّاً وأخلاقيـاً أن تنسـب هـذه الـتهم جزافـاً إلى طائفة واسعة من المسـلمين، لهـا حضـور واسع فـي كـلّ الأوساط الإسلامية في العالم تقريباً، بمثل هـذه الصـورة غيـر العلمية، من غير دليل.

ولا يصحّ طرح هذه المسائل، وهي اتهامات قديمة، أكـل

الزمان عليها وشرب، وتكرّر حتى ملّ المتهمون من الاتهام، وتكرّر الجواب عليها حتى ملّ المدافعون من الجواب...

أقول لا ينبغي أن تطرح أمثال هذه المسائل بهذه الصورة المثيرة للفتنة، وغير العلمية، وغير الموضوعية، في ظروف سياسية كالظروف السياسيّة العسيرة القائمة اليوم، التي يحتاج المسلمون فيها إلى التفاهم والانسجام أكثر من أي شيء آخر، بعد الاتكال على الله تعالى.

فها هي أمريكا تحتلّ بلدين إسلاميين: العراق وأفغانستان، وتمارس أبشع أنواع الاضطهاد والتعذيب بحقّ المسلمين في سجون أبو غريب وغوانتنامو وغيرهما.

وها هي إسرائيل تمارس أبشع أنواع القتل والحصار الاقتصادي والاختطاف، ومداهمة البيوت والأُسر والتجويع بالمسلمين الفلسطينيين في غزة، ولا يستجيب لصراخهم واستغاثتهم حكّام العرب والمسلمين، غير استجابة محدودة لا تغني ولا تسمن.

ثم نجد أحد أُمراء العرب والمسلمين في تلك الأيام بالذات يستقبل بصورة رسمية وزيرة خارجية إسرائيل، قاتلة الفلسطينيين في غزة، يرحب بها، ويصافحها، ويظهر على

شاشات الفضائيات العالمية، ويده بيدها، وجراح المسلمين في غزة تنزف دماً عبيطاً كلّ يوم، وفي سجونها الآلاف من إخواننا وأبنائنا من فلسطين.

وتمارس أمريكا القصف الوحشي على البيوت والمستشفيات والمساجد في مدينة الصدر ببغداد بالقنابل الإنشطارية، تستهدف بها النساء والأطفال والرجال الأبرياء، من غير رادع، كما قصفت إسرائيل لبنان في حرب تموز، وهدمت البيوت على رؤوس أصحابها، وحولت بيوت الناس ومحلاتهم التجارية ومساجدهم إلى أنقاض.

وسط هذه المصائب والمحن نجد هناك من ينكأ الجرح، ويعمل على إثارة الفتن في صفوف المسلمين، ويسعى بالبغضاء والاتهام فيما بين المسلمين، ويدعوهم إلى التراشق والتناحر وتبادل الاتهامات عن قصد أو غير قصد.

نحن ندعو الشيخ البرّاك إلى أن يعود إلى الصف الإسلامي الكبير الذي يجمع المسلمين كلهم بلا استثناء، يحمل إليهم المحبّة والتفاهم والانسجام والتقريب والتواصل، كما يريد الله تعالى ذلك للمسلمين، وإذا كانت لدية شُبه وأسئلة وملاحظات وشكوك، فيطرحها في أجواء علمية،

وبصورة موضوعية، وبلغة علمية هادئة.

يقول تعالى: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾.

محمّد مهدي الآصفي

النجف الأشرف

٢٤ / ربيع الثاني/ ١٤٢٩ هـ

الفهرس